الرداء

obeikan.com

الرداء
رواية
الطبعة الأولى : ٢٠١٥

دار الحلم للنشر والتوزيع
٤ شارع الأشراف - من شارع مؤسسة الزكاة - المرج - القاهرة
موبايل : ٠١١٤١٨٢٤٥٦٢
dar_el7elm@hotmail.com
المدير العام : د.إسلام فتحى

تصميم الغلاف :
إخراج داخلي : الحلم للدعاية والإعلان

رقم الإيداع :٢٠١٥/٢١٧٣٠
رقم الترقيم الدولي : 978-977-6412-84-6

إن دار الحلم للنشر والتوزيع، غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف، ولا تعبر بالضرورة عن آراء الدار .

obeikan.com

أحمد محمود

الرداء

obeikan.com

obeikan.com

في بلد صغير يقع في وسط الصحراء كان يعيش أناس فقراء وكان من بين هؤلاء رجل يدعى أبو الفداء

وذات يوم كان كبار البلد مجتمعين يتحدثون في الحال المحزنة الذي وصلوا إليه فقال أبو الفداء

«يا قوم إن بقينا على حالنا هذا فسنموت كلنا قريباً فالأرض قد صارت قاحلة والآبار اقتربت من الجفاف ونحن لا نحرك ساكنا..... إلى متى سنظل هكذا ؟»

فنظر إليه أحدهم وسأله وهو عابس الوجه أكثر من عبوس وجوه الجميع وماذا علينا أن نفعل ؟

فأجاب أبو الفداء

«علينا أن نذهب ونبحث هنا وهناك عن مكان آخر فهذه الأرض لم تعد صالحة للعيش»

فرد آخر مستنكرا : «ما هذا الكلام الذي تقوله أتريد أن نتشرد ونموت في أرض غريبة فإن كنا سنموت فالنموت هنا... على أرضنا... وبين ديارنا وأهلنا ... ولا نموت مثل الكلاب الضالة «

فرد أبو الفداء وهو متعجب « ومن قال لكم أننا سنموت فنحن سنذهب ونبحث في أرض الله الواسعة عن الحياة... فكما ترون العيش هنا صار قاسيا فعلى أي شيء تخافون حتى تقولوا هذا الكلام ؟ «

فردوا عليه جميعا وهم مستنكرون كلامه وقد أزداد وجهوهم عبوسا حتى كادت تتشقق

«هذا كلام غير مقبول فنحن لن نترك أرضنا ونموت غرباء»

فتحسر أبو الفداء ورد عليهم قائلا

«حسنا ابقوا كما أنتم ونالوا ما كتب لكم ثم انصرف وتركهم وهو مهموم وحزين»

وحين وصل إلى بيته قال لزوجته
«إن سمعت كلامهم وبقيت هنا فسنموت من الجوع أو العطش يجب علينا أن نفعل شيء»
فسألته الزوجة
«وماذا علينا نفعل ؟»
فأجاب قائلا: «أنا سوف أفعل..سوف أذهب وأبحث عن الحياة فعلى الأقل إن هلكت أهلك بشرف.. لا إن اهلك وانأ جالس هكذا ابكي حتى يأكلنا الجوع والعطش ببطء وذل»
فقالت الزوجة وهى حزينة: « ولكن ستذهب وتتركنا لمن ؟»
فقال: « أترككم في رعاية الله فهو خير حافظا «
فقالت الزوجة: « ونعم بالله ولكنى أرجوك أن تحافظ على نفسك وأن تعدني بأن تعود ألينا سالما»
فقال: « أعدك أنني سأبذل قصارى جهدي حتى أعود بالفرح على هذا البلد كله وعلى الله التوفيق»
فقالت الزوجة: «حقق الله لك ما تتمنى وحفظك بما يحفظ به عباده الصالحين «
فرد قائلا: « اللهم آمين «
وبالفعل جهز أبو الفداء نفسه وحمل أغراضه وانطلق في وقت طلوع الشمس إلى طريق لا يعرفه ولا يعرف مداه
وظل يمشى في الصحراء الشاسعة ذات الحرارة المتوهجة متوكلا على مولاه حتى أنهكه التعب فجلس يتناول بعض الطعام الذي أخذه معه من منزله قبل إن يغادر... وبعد أن انتهى أكمل السير في طريقه المجهول بأمله البعيد
وظل يمشى هكذا حتى حل المساء وازدادت برودة الجو فأوقد النار في

بعض الحطب الذي جلبه معه أيضا ومكث يتدفأ به ثم دخل في ثبات عميق حتى اقترب فجر اليوم الجديد

وفي اليوم الجديد استمر في المشي والبحث عن أي شيء يوحي بالحياة ولكنه لم يجد سوى الأرض الخاوية

فقد كان يريد إيجاد آبار أو أرض خصبة أو نهر أو بحيرة أو بحر أو أي قرية بها بشر ولكنه لم يجد ولو علامة واحدة تدل على ما كان يريد

وبعد أن استمر على حاله هذا أربعة أيام وقد نفد الطعام والشراب والحطب شعر باليأس وقال في حزن : «يبدو أن نهياتي ستكون كما قال أهل البلد فقد قطعت مسافة ربما لن اقدر على قطعها من جديد وانأ بدون زاد «

وجلس على الأرض وبدأ يتأمل في حزن وهو لا يعرف ماذا سيفعل

وبينما هو جالس على الأرض التفت يعيناه ناحية اليمين فإذا به يلمح شيء من بعيد وكأنه مرتفع من الصخور

فوقف على الفور وأكمل السير حتى بدى الشيء واضحا لعيناه

وكان ذلك الشيء عبارة عن بيت صغير مبنى من الصخور فأخذ يقترب منه ببطء وحذر حتى وصل إلى بابه

وكان في هذا الوقت الغروب قد حل كاملا فقال لنفسه: »حمدا لله أنني وجدت ما أبات فيه ليلتي فقد شبعت من النوم في العراء» وبالفعل أنار مصباحه الصغير ثم دخله وفيه وجد شيئا جعله يتعجب

فقد وجد فراشا وكأن أحدا كان يرقد فيه فأخذ يتساءل قائلا: «يا ترى لمن هذا الفراش ؟ هل هناك احد يسكن هنا ؟ ثم أخذ يفكر قليلا.... وقال بعدها ولكن ماذا يعنيني من هذا سأنام. وإن أتى أحد فربما نساعد بعضنا في إيجاد ما ينفعنا»

وبالفعل استلقى على الفراش المكون من الخوص وغطى جسده بالغطاء

الذي كان عليه
ودخل في ثبات عميق من شدة التعب وفي منتصف الليل تقريبا اشتد البرد عليه ولذلك استيقظ من نومه وجلس وهو حزين وحيران واخذ يقول: «ياليتني أجد حطب حتى أُحد من هذا البرد الذي سيقتلني قبل موتى جوعا وظمئا» ثم بدأ ينهض وهو يبعد الغطاء من على جسده فإذا بيده تصدم شيء وتوقعه
فلما سمع أبو الفداء هذا الصوت أشعل المصباح على الفور وأخذ ينظر فإذا به تفاجأ بأنه حطب وكأنه كان متراصا بجانبه ويده صدمته فأوقعته فتعجب واخذ يتساءل : «ما هذا ؟ من أين أتى هذا الحطب يا ترى ؟ هل كان موجودا و لم أراه حين دخلت أول مرة؟أم أن أحد جلبه إلى هنا؟ « ثم أخذ ينظر وهو متعجب وظل يفكر لبعض الوقت ويبحث في ذاكرته وبعدها ابتسم وقال : «ولكن المهم أنني وجدت ما كنت أبحث عنه والحمد لله» ثم أخذ يحمل الحطب ويرصه ثم أوقد فيه النار وبعدها استلقى على الفراش وعاد إلى النوم من جديد حتى مطلع الفجر
وبعد أن استيقظ صلَ الفجر ومكث يدعو الله حتى طلوع الشمس وبعدها قال في نفسه: «يبدو أن لا أحد سيأتي إلى هنا فلو كان هناك إنسان لما لم يأتي حتى ألان فربما كان هناك أحد وهلك أو رحل إلى مكان آخر.. يالا الحسرة» ثم قام وقبل أن يخرج لاحظ وجود رداء ملقى بأحد جوانب المنزل لم يلاحظه من قبل فمد يده وأمسك به وقال: »هذا الرداء جيد ومصنوع من جلد سميك فارتداه وهو يقول سآخذه ربما أحتاجه حين يشتد البرد» ثم خرج من المنزل وأكمل السير باحثا عن الحياة التي يريدها وبعد أن مشى قرابة الساعة شعر أنه سيموت من العطش فهو لم يشرب منذ يومين فتساءل وهو في حيرة وحزن وعجز: « يا ترى هل سأجد المنقذ من هذا الجحيم أم ماذا ؟فالأكل مقدور عليه..... ولكن الماء .... كيف

سأكمل بدون الماء ؟فأنا أريد الماء وحسب فلن اقدر على السير أكثر.. بدونه»

وفجأة ظهر على مقربة من عيناه شيء وكأنه نبع مياه فقال لنفسه: «ما هذا الذي أراه هل هذه هلاوس أم حقيقة» وأخذ يقترب ناحية النبع ببطء وهو يحدق يعيناه بشدة حتى وصل إليه ومد يده ليرى هل هو حقيقة أم سراب وحين لمسه كانت المفاجئة التي أذهلت عقله فقد كان حقيقيا فأنشرح صدره وقال: « وهو يكاد يطير من الفرح.... انه حقا ماء ....الحمد لله يارب إنه لم يكن سراب» ...وبدأ يشرب كالجمل العطشان حتى ارتوى وبعدها أكمل السير وهو يقول: «يجب ألا أضيع مكان النبع والمنزل فربما أحتاج للعودة إليهما من جديد»

وبعد أن مشى قرابة نصف ساعة أخرى وجد أرنبا برية مليئا باللحم فقال وهو يبتسم: « يبدو أن فرج الله قد أتى من كل ناحية فها أنا وجدت الطعام أيضا.... ولكن يا ترى كيف سأمسك به فأنا احتاج إلى شيء كي أصيده به» وبدأ يفكر ولكنه لم يأخذ فرصة للتفكير فقد تفاجأ بكلب يظهر بجانبه ويركض مسرعا ناحية الأرنب حتى امسك به وعاد إليه من جديد فوقف أبو الفداء مذهول وأخذ يتساءل بعجب شديد: «ما هذا الذي رأيته هل أنا في واقع أم مازلت نائما ؟يا ترى كيف حدث هذا ؟فأنا في حيرة منذ أن وجدت الحطب ثم وجدت النبع بعدها.... يا ترى ماذا يحدث هل المنزل فيه بركة والليلة التي نمتها فيه جعلت ما أتمناه يتحقق» ثم أخذ يتأمل قليلا و قال وهو مبتسم: «ولما أحير نفسي فعلى أن أجرب ثم استدار باتجاه المنزل وبعد أن مشى عدة خطوات تذكر المعطف الجلد الذي ارتداه وأخذه من هناك وتساءل أم أن السر في المعطف الذي أخذته من هناك ؟ ثم ابتسم وأكمل قائلا ربما يكون رداء الأحلام الذي كنا نقرأ عنه في روايات الطفولة ياليته حقا هكذا .... ولكن ما الداعي للحيرة

فسأجرب الرداء أولاً وإن لم ينفع سوف أذهب إلى المنزل» وقام بخلع الرداء وقال : «أتمنى جواد أصيل وقوى ألان»

وانتظر قليلا فلم يحدث شيء فقال: « حسنا سأرتدي المعطف من جديد وبعد أن إرتداه تمنى قائلا

أريد جواد أصيل وقوى ألان» وفجأة وجد جواد اسود قوي وجذاب يقف أمامه فقال وهو يشعر أنه سيطير من الفرح: « إذاً هو الرداء إنه رداء الأحلام الحمد لله الحمد لله... سوف أذهب ألان إلى أهل القرية وأبشرهم وأحقق لهم كل أحلامهم أخيراً سنحيى الحياة التي لم نتذوق طعمها من قبل وسيرى الكل أحلامه صارت واقعا ملموساأخيرا سنودع الفقر وستكون أمانينا مجرد كلمة نقولها الحمد لله على هذه النعمة الغالية «

ثم أخذ يفكر ويتساءل ولكن يا ترى ماذا سأقدم لهم وما هي أحلامهم؟؟؟ وبعد التفكير لدقائق قال مبتسما: «

نعم هذه هي بالتأكيد... سوف أجعل لكل واحد بيت جميل وحديقة فيها من كل الثمرات وبئر خاص به ثم تراجع قائلا ولكن إن أراد احدهم قصر فلما لا أعطيه قصر... إذا سأعطى كل منهم قصرا بدل البيت... ثم شعر بالحيرة من جديد وقال ولكن إن كان احدهم لا يريد قصر فهناك من لا يحب البيت الواسع إذا سأترك لهم الخيار وليقولوا لي أمانيهم وانأ أحققها لهم ثم اخذ يفكر من جديد وقال بعدها ولكن هذا الأمر لن ينفع فهل سأبقى استمع لبحور الأماني التي ستنهال علي وقتها وشعر بالحيرة الممزوجة بارتباك و نشوة الفرح فأخذ يقول ما هذه الحيرة ياربي ما هذه الحيرة واستمر في التفكير فيما يمكن أن يفعله لهم فقد كان يريد أن يعطى لكل واحد منهم ما يريده» ولكنه لم يكن يريد أن يشعرهم بالمنة وأنه صاحب الفضل عليهم ولذلك بعد التفكير الطويل قال مبتسما: «إذا هذا هو الحل... فأين كان غائبا عنى... ثم ركب الحصان بحسن نيته وانطلق

به ناسيا أنه لم يكن بحاجة إلى ركوبه ... فكان يكفى أن يتمنى العودة إلى بلده حتى تتحقق أمنيته» وظل الجواد يركض حتى قطع المسافة وعاد إلى البلد في وقت العصر

وحين رآه بعض من أهل البلد سألوه: « أين كنت يا أبو الفداء ومن أين أتيت بهذا الجواد»

فقال لهم وهو مبتسما وفرحا فرحة المنتصر العائد بالخير: «لقد من الله علينا أخيرا بما سيحقق ما نتمناه ويجعلنا نحيا حياة لم نكن نحلم بها «

فسألوه في عجب: « كيف هذا ؟ قل لنا ماذا تعنى بهذا الكلام ؟»

فقال: » علينا أولا إن نجتمع لأقول ما أريد قوله إمام الجميع فهيا اذهبوا ونادوا على الناس ليخرجوا جميعا ونجتمع عند التله لأحكى لكم ما حدث معي هيا أسرعوا فالأمر لا يحتمل الانتظار»

فقال الناس في شغف: « حسنا كما تريد وانتشروا ليخبروا كل أهل البلد بما حدث وبما يريده أبو الفداء «

وبالفعل تجمع الكل عند التله التي اعتلاها أبو الفداء واخذ يقول: «أخيراً يا أخواني قد أرسل الله لنا ما سيبدل حياتنا للأحسن ويعتقنا مما كنا فيه من فقر»

فسأله أحد الرجال: «وما هو هذا الشيء ؟»

فأجاب أبو الفداء: « إنه رداء الأحلام الذي يحقق أي شيء يتمناه الإنسان» فلما سمع الناس كلامه اخذوا يضحكون وقال أحدهم وهو غاضب: « هل جمعتنا لتسخر منا يا رجل ما الذي حدث لك فلم نعهد عليك هذا من قبل»

فرد أبو الفداء قائلا: « أنا لا اسخر من أحد ولم أجمعكم للمزاح فقد عثرت على هذا الرداء الذي ارتدي وهو يحقق ما يتمناه المرء وسأريكم ألان أنني صادق في كلامي... هيا فاليتمنى أحد منكم أي شيء «

Open-kan.com

فقال أحدهم: « أتمنى ناقة بدلا من ناقتي التي ماتت»
فأخذ الناس ينظرون يمين ويسار وتساؤل الرجل أين هي لم أرى شيء
فأجاب أبو الفداء: « صبرا بالله فأنا قلت منذ قليل إن الأمنية تُحقق لمن يرتدى المعطف ولذلك لابد إن أتمنى إنا ولذا سأقول مثلما قلت
أتمنى ناقة أفضل من ناقته التي ماتت» وفجأة وجد الناقة قد ظهرت فتفاجأ الجميع وقالوا في ذهول : «ما هذا ؟!!!!!! إنه سحر»
فرد أبو الفداء قائلا: « لا هذا ليس سحرا إنه حقيقة... فتعالوا وانظروا إليها وتفحصوها جيدا فتستجدوا أنها حقيقة»
فأخذ الناس يصعدون التله واحدا بعد الأخر ويتفحصون الناقة وأبو الفداء ينظر إليهم وهو مسرور
وأثناء تفحصهم للناقة قال وهو يبتسم: « صدقوني إنها حقيقة وليس سحرا حتى لو نظرتوا إليها ستجدوا أن بها جرح بسيط وهذا يعنى أنها حقيقية فبالطبع الرداء لا يقدر أن يخلق روح فهذه أشياء يفعلها الله وحده ومؤكد أن هذه الناقة كانت في إحدى الغابات والرداء أتى بها وحسب» فلما سمع الناس هذا الكلام عقلوه جيدا
وقال أحدهم: «إذا أنا أريد منزلا جديدا وحديقة بها كل الثمار «
وقال الأخر: « وانأ أيضا أريد مثله وأريد إسطبلا للخيول»
وقال الثالث: « وانأ أيضا وظل الجميع يقول ما يريده»
فقاطعهم أبو الفداء قائلا وهو مبتسم: « يا أخواني اصبروا بالله فكل ما تريدوه سيتحقق بإذن الله ولكنى قبل ائتي إلى هنا فكرت في أمر يحقق به كل إنسان ما يتمناه دون طلب منى»
فسألوه جميعا كيف هذا ؟
فأجاب قائلا : «سأتمنى أن يملك كل واحد منكم رداءا مثله ويحقق به ما يتمناه كما يريد»

فقال أحدهم وهل هذا سينفع ؟
فأجاب أبو الفداء: « بالتأكيد طالما انه يحقق كل الأماني.... ولذلك أتمنى أن يملك كل منزل في هذا البلد رداء يحقق به ما يتمناه»
وفجأة وجد كل واحد نفسه يرتدى الرداء بالفعل... ففرحوا فرحا عارما وظلوا يقولون: « لقد تحققت الأمنية لقد تحققت الأمنية أخيرا سنعيش حياتنا بعد حياة الفقر والجوع»
فأبتسم أبو الفداء وقال: « نعم وهذا من فضل الله فهيا إذهبوا وبشروا أسركم وحققوا لهم ما يتمنوه وأنأ أيضا سأذهب لبيتي كي أبشرهم»
فأخذ الجميع يصعدون التله ويقبلون ويحتضنون أبو الفداء ويشكروه حتى استأذنهم ومشى متجها إلى بيته
واتجه باقي الناس إلى منازلهم وهم في قمة السعادة والفرح وعندما وصل واستقبلته زوجته وأبنائه كانوا فرحين به وظلوا يقولون: «هل سنصبح أغنياء يا أبى ونأكل اللحوم ونركب الخيل ويكون لدينا بيت جميل وحدائق بها كل أنواع الفاكهة»
فأجاب وهو يبتسم: « نعم إن شاء الله سيكون لدينا كل هذا» فأخذوا يغنون ويرقصون من الفرح أما أبو الفداء فدخل غرفته ليستريح من التعب الذي كان يشعر به بعد رحلته الطويلة وغلبه النوم حتى جاءت زوجته توقظه وتقول له: «يا أبو الفداء استيقظ.... هيا استيقظ وانظر ماذا جرى»
ففتح عيناه وسألها : «وهو مترقب ماذا جرى ؟»
فابتسمت وقالت: « لا تقلق فهو شيء ليس سيء»
فقال لها بشغف: « إذاً تكلمي قولي ما الذي حدث»
فقالت: « تعالي معي وأنت ترى بنفسك»
فقام من على فراشه وهو يقول: « حسنا ثم ذهب معها وحين خرج من

منزله وجد الشيء الذي أذهله»
فقد وجد البلد تحولت وكأنها بلد آخر فالبيوت تبدلت والحدائق والبساتين قد أُنشأت وامتدت خارج نطاق البلاد حتى انه لم يعد يرى الرمال بعينه وأصوات الطيور والحيوانات التي بداخل المزارع صارت تعلو بعد إن كانت أصوات الكلاب والذباب لا يعلو عليها أحد
فقال وهو مذهول: « ما هذا ؟ هل نمت ساعات أم شهور ؟»
فابتسمت الزوجة وقالت: « الناس كانت في ضيق شديد «
فقال : »نعم ويريدون الشبع من بعد الجوع «
فقالت الزوجة: « نعم عدا نحن فلم يبقى سوانا مازلنا على حالنا الم يحن الوقت لأحلامنا إن تتحقق أم ماذا»
فأبتسم أبو الفداء ورد قائلا: « بالطبع قد حان هيا بنا نجلس سويا وكل منا يقول ما يتمناه حتى يحدث توافق بيننا»
فقالت: « حسنا » ثم دخلا البيت وجلسا وبجانبهما ابنهما وبنتهما
وقال أبو الفداء: « هيا قل أنت يا حسن ماذا تريد ؟»
فأجاب قائلا: « أريد بيت كبير ويكون به حديقة كبيرة ألهو فيها ويكون لدينا إسطبلا للخيل حتى اركبه واجري به في الحدائق الواسعة»
فأبتسم وقال: « حسنا ثم سال أبنته قائلا وأنت يا زينب ماذا تتمني ؟»
فأجابت: « أريد حديقة مليئة بالطيور الجميلة ذات الأصوات العالية «
فقال أبو الفداء : « وأنت يا زوجتي ماذا تريدي ؟»
فأجابت الزوجة وهى مبتسمة: « أريد أن يكون لدينا مزرعة نأكل من زرعها الخضروات والفواكه الطازجة وأيضا مزرعة للطيور لأكل لحومها و بالطبع أخرى للماشية»
فقال أبو الفداء: « وهو مازال مبتسما حسنا كما تريدي»
فسألته الزوجة : «ألن تطلب شيء ؟»

فرد قائلا: « بعد الذي قلتوه ماذا سأطلب أنا يا ترى»
فقالت الزوجة: « معك حق ثم ابتسمت وقالت ولكنك ربما تجد انك محتاج لشيء في المستقبل ولكنه لا يحضرك الآن»
فرد قائلا: « نعم معك حق المهم أن نبدأ وحسب»
وبالفعل تمنى أبو الفداء كل ما قالوه وصار لديهم في حينه ...وصارت البلد بأكملها هكذا بلد كل أهلها منعمين بالخير.... بعد الجوع والحرمان
واستمر الوضع على هذا الحال قرابة شهر فيه عاش الناس في وئام تام وسعادة بالغة حتى جاء يوم كان أبو الفداء جالسا في غرفته يقرأ أحد الكتب فأتت إليه زوجته وقالت له: «أبو الفداء هناك ضيفا قد أتى ويبدو أن هناك شيء حدث له»
فسألها وهو منتبه ومترقب : «من هو ؟ وماذا حدث له ؟»
فأجابت قائلة: « لا أعرفه ولكنه يقول أن الأمر هام للغاية ويريدك فورا»
فقام وهو يقول: « حسنا أنا قادم « وذهب ليرى ماذا يريد الضيف وحين دخل الغرفة الجالس فيها ونظر في وجهه عرفه وكان يدعى نعمان وهو احد التجار الذي كان يشترى منهم البضائع من قبل وكان بينهما معرفة قوية تقترب من الصداقة فقال له: « مرحبا بك يا نعمان ماذا حدث ؟»
فأجاب نعمان الذي يبدو على وجهه علامات الأسى والحزن الشديد: « انجدني يا أبو الفداء فأبني سيموت ؟»
فتفاجأ أبو الفداء وتساءل وهو متعجب: « لما تقول هذا ما الذي حدث ؟
فرد قائلا: «لقد أصيب بمرض غريب وحرارته ظلت ترتفع باستمرار وحالته تسوء يوما بعد يوم ولا نعرف ماذا نفعل
فقد تمنيت أن أجد الدواء له وبالفعل وجدت زجاجة الدواء في الحال ولكنى حين أعطيته منها لم يتحسن ولو بشكل طفيف ولذلك أتيت إليك لأسألك لما حدث هذا ؟»

فصمت أبو الفداء وأخذ يفكر قليلا ثم قال: « وهو في حيرة في الحقيقة لا أعرف ماذا أقول لك ولكن لماذا لم تستدعى طبيبا ؟ لماذا تتمنى الدواء من الرداء قبل الطبيب ؟»

فرد نعمان قائلا: «يا آخى ماذا سيفعل أمهر الأطباء أمام قوة الرداء فطالما الدواء الذي أتى منه لم ينفع فهل سينفع الطبيب»

فهز أبو الفداء رأسه يمينا ويسارا ثم نظر إلى الأسفل وبعدها نظر إليه وهو مازال محتارا وقال له: «حسنا هيا بنا سأذهب معك لأراه بنفسي»

فقال نعمان: « حسنا هيا بنا» ثم ذهب الإثنان إلى منزل نعمان وحين وصلا ودخلا غرفة الصبي نظر إليه أبو الفداء وأشفق عليه وسأله: «كيف حالك يا بني ؟

فنظر إليه الصبي المريض ولم يقول شيء وكان أبو الفداء يسمع صوت بكاء أمه وقلبه يتمزق فقال وهو يحدث نعمان: «اعطني زجاجة الدواء الذي تحدثت عنها»

فقال نعمان: « في لهفة حسنا حسنا ثم ذهب وعاد وأعطاها لأبو الفداء الذي أخذها منه ووضع القليل من الدواء في احد الملاعق ثم رفع رأس الصبي من على الوسادة وجعله يشربه وهو يقول: « هيا يا بني اشرب الدواء باسم الله وبالفعل شرب الصبي الدواء ثم وضع رأسه على الوسادة من جديد»

وبعد ذلك قال أبو الفداء: « لا تقلق يا آخى وقل لأمه أن تهدأ فهذا فأل سيئ عليه وإن شاء الله سيكون بخير»

فرد نعمان ذو القلب المفطور قائلا: «أتمنى ذلك فأنت تعرف أنه أبني الوحيد والذي أتى بعد سنوات من الانتظار فلا تتخيل كم نخاف عليه أنا وأمه»

فأخذ أبو الفداء يطمئنه وهو يطبطب بيده على كتفه ويقول: «لا تقلق

يا آخى إن شاء ستطمأن عليه قريبا وألان سأستأذن أنا وأريدك أن تبلغني بحالته وتطمأنني عليه»

فقال نعمان : «حسنا ولكن يا آخى لما ترحل هكذا سريعا امكث معي فأنا منذ زمن لم أراك»

فأبتسم أبو الفداء وقال : « اعذرني يا أخى ولنتركها لمرة أخرى ويكون فيه الظرف أفضل من ذلك»

فرد نعمان قائلا: « حسنا كما تريد» ثم ذهب معه وأوصله إلى الباب فخرج أبو الفداء واتجه في طريقه إلى منزله

ومر الوقت وفات يومان على هذا اليوم وفى اليوم الثالث وفى وقت العصر تقريبا وجد أبو الفداء احد يطرق باب منزله فذهب ليرى من بالباب وحين فتحه وجد الرجل الذي يدعى نعمان يرتمي على يده ويريد أن يقبلها وهو يقول: «أيها الرجل الطاهر الفاضل»

فتفاجأ أبو الفداء مما يحدث فسأله وهو مبتسم ومندهش في نفس الوقت : « ماذا حدث يا آخى ؟

فأجاب نعمان الذي يكاد يطير من الفرحة: «انظر هناك وأنت تعرف ماذا حدث»

فنظر أبو الفداء على المكان الذي أشار إليه نعمان فإذا به يجد أبنه الذي كان مريضا يقف ويبدو عليه أنه تعافا فقال أبو الفداء مبتسما: «حمدا لله على سلامته هيا اجعله يأتي لما يقف هناك هكذا هيا اجعله يأتي حتى أضايفكما»

فرد نعمان: « لا هذا الواجب علينا نحن فهيا من فضلك ولا تتعذر بأي شيء فزوجتي تنتظركم هيا قل لزوجتك وأبنائك وهيا فنحن سنحتفل بسلامته ولن يكون هناك احتفال بدونك فأنت من أنقذ حياته وكان على يدك الشفاء»

فرد أبو الفداء قائلا : «يا آخى لا تقل هذا فالشفاء بيد الله وحده»
فرد نعمان قائلا: « نعم صدقت ولكن لما يا ترى لم ينفع الدواء إلا عندما أتيت هل هذا مرتبط بأنك من حصل على الرداء»
فأجاب أبو الفداء مبتسما: « بالطبع لا ... الأمر متعلق بأن الرداء مهما كانت قوته فهو ليس له صفات الإله فهو يصنع دواء نعم ولكن لا يشفى وأنا عندما قلت باسم الله أتم الله شفاء ولدك ومؤكد أن الدواء لم يجدي نفعا من قبل لأنك كنت تعتمد عليه ناسيا قدرة الله»
فأخذ نعمان يفكر وابتسم خجلا وقال: « معك حق يا أخى وفى الحقيقة كلما سمعت كلامك اشعر انك كنت الأحق بالحصول على ذلك الرداء من بيننا فأنت أحكم من فينا والأكثر هدى وتقي يا ليت أبنى يصير مثلك عندما يكبر»
فقال أبو الفداء: « إن شاء الله سيكون أفضل منى»
فرد نعمان قائلا: « إن شاء الله ...والأن سوف أذهب ولكننا ننتظرك أنت وأسرتك فلا تتأخر وإن لم تأتى سنلغى الإحتفال «
فأبتسم أبو الفداء وقال: « لا تخف سوف نأتي إن شاء الله»
فقال نعمان: « حسنا ثم استأذن وذهب إلى منزله» وأغلق أبو الفداء الباب وبالفعل ذهب أبو الفداء وأسرته إلى بيت نعمان واحتفلوا جميعا بسلامه ابنه الصغير وكان يوم مبهجا للجميع
ومر الوقت حتى فات أسبوعا أخر من السعادة الغامرة ومن الوئام والانسجام التام حتى أتى يوم كان فيه أحد الرجال الذين يسكنون البلد وهو يدعى سالم جالسا هو وأخوه الصغير فقال أخوه وهو عابس الوجه وكان يدعى شاهين: « ما هذا الوضع السيئ الذي نعيشه في هذا البلد ؟»
فتفاجأ سالم وقال له باستغراب شديد:» ...الوضع السيئ !!!! هل تمزح أم تتكلم بصدق ؟»

فأجاب شاهين قائلا: «لا... أنا أتكلم بصدق»
فقال سالم: « وهو مازال مستغربا ولا يفهم لما يقول أخوه هكذا أبعد كل ما نحن فيه من نعيم تقول أن الوضع سيء أن كان هذا سيئا إذا كيف كان من قبل ؟»
فرد شاهين: « يا أخى أنا لا أتحدث عن متع الحياة أنا أتحدث عما لا يراه الناس وهو الأمر الذي سيعرفون خطورته فيما بعد»
فقال سالم : « وقد بلغ عجبه درجته القصوى .....وضح كلامك أكثر فأنا لا افهم ماذا تقصد»
فقال شاهين: «أنا أتحدث عن هذا البلد الذي لا يحكمه أحد وكل إنسان منفصل وكأن بيته هو بلده... فيجب أن نوحد الناس تحت إمرة رجل واحد فهذا العبث الذي نحن فيه لا ينفع «
فأخذ سالم يفكر قليلا ثم سأله: « وما فائدة هذا فنحن نعيش هنا كإخوة لما نضع فوق رؤوسنا من يتحكم فينا ؟»
فأجاب شاهين: «ولكن هذا الوضع خطير يا أخى فلو أن غزاة جاءوا وهاجمونا فسيقضى علينا ما دمنا مشتتين وكل منا له رأيه لابد من التوحد تحت رأى قائد يقودنا ويدير شؤوننا»
فابتسم سالم وقال: « غزاة !! ومن سيقدر على هزيمتنا وكل بيت معه رداء الأحلام الذي أن تمنى قضى به على أي عدو»
فقال شاهين وهو يشير بأصبعه ناحية أخيه: « هنا تكمن الخطورة يا أخى
فنظر إليه سالم بعجب ثم قال : «لا افهم ماذا تقصد بكلامك ؟»
فرد شاهين قائلا : «تخيل معي لو استطاع غريب اخذ رداءا واحدا من أي بيت ربما يقضى على أي رداء آخر ويصبح هو وحده من يملكه ويقضى علينا جميعا فنحن لدينا الرداء ولكن لم نصبح آلهة وأعيننا تغفل والناس هنا يبدو أن النعيم قد اخذ عقولهم ولا يفكرون في أمر خطير كهذا»

فلما سمع سالم كلام أخوه اخذ يفكر فيه بعمق ثم قال بعد التعمق والتخيل: « هذا صحيح فالأمر يبدو خطيرا»

فقال شاهين: « أرأيت ولذلك يجب فعل شيء يحمى هذا البلد من العبث ونحافظ به على أملاكنا»

فسأله سالم: «وما هو هذا الشيء من وجهة نظرك الذي يمكن أن نفعله؟»

فأجاب: « لا أنا أتكلم بصدق.وتتمنى أن يختفي أي رداء آخر حتى تحافظ على هذا الكنز من العابثين وبعدها يجب أن تكون حاكما على هذا البلد فأنت الأكبر سنا والأعلى مقاما»

فقال سالم: «الذي بدأ يشعر بالقلق ...ولكن إن علم الناس أنني من فعل هذا فماذا سيكون ردهم»

فابتسم شاهين وقال: « ومن سيخبرهم فأنت بعد أن تتمنى ستختفي الأردية وسيظن الجميع أن مدته انتهت أو أي شيء آخر.... طالما اختفى من عند الكل»

فتساءل سالم وهو محتار : « ولكن لما نحرم الناس من شيء يحقق لهم أحلامهم ؟ أليس هذا ظلما لهم ؟»

فرد شاهين قائلا: « يا آخى انظر حولك فكل منهم صار لديه أكثر مما كان يراه في أحلامه ومؤكد أنهم لن يفتقدوه.... فهو أصبح عديم الفائدة بالنسبة لهم فماذا سيفعلون أكثر مما فعلوه ؟ ألم ترى أن كل منهم صار كالملك المتوج وصار لديه من البساتين والمزارع والطيور والحيوانات والآبار ما يكفيه لمائة عام وألان وبعد كل هذا سيصبح مبعثا للشر ويجب تحجيمه»

فأخذ سالم يفكر من جديد حتى شعر أن الكلام أعجبه فرد قائلا: «نعم معك حق ولكن متى سنقوم بهذا العمل»

فأبتسم شاهين وقال: « في الليل والناس نيام حتى يقوموا من نومهم فلا

openkan.com

يجدوه فيظنوا انه اختفى كما جاء بالتمام»
فهز سالم رأسه وهو يقول: « حسنا كما ترى»
وبالفعل ارتدى سالم الرداء في وقت متأخر من الليل وتمنى ألا يبقى احد يملك الرداء سواه فتحققت أمنيته على الفور
وفى الصباح وجد النارداني صيح ويقول بصوت عالي وهو حزين ومفجوع: «أيها الناس لقد سرق ردائي ....لقد سرق ردائي»
فأتى واحد آخر بنفس الحالة يقول: » وأنا أيضا لم أجد ردائي وانضم إليهم ثالث قائلا: « وأنا أيضا لم أجده»
فلما سمع الناس هذا ذهبوا جميعا ليطمأنوا على الرداء ولكنهم ذهبوا وعادو بالحسرة واخذ الكل يقول: « لقد اختفى الرداء» حتى عم خبر اختفاء الأردية على كل بيوت البلد فقال احدهم: « هيا نذهب لنرى أبو الفداء ونأخذ رأيه فيما حدث» وبالفعل ذهبوا جميعا وحين وصلوا قالوا له: «لقد اختفت جميع أرديتنا ونريدك أن تعيدها لنا»
فقال أبو الفداء في حزن: « مع الأسف لقد اختفى ردائي أنا أيضا»
فتساءلوا جميعا: « كيف هذا ؟ أين ذهبت جميع الأردية في وقت واحد؟»
فرد أبو الفداء: «لا اعرف يا أخواني ربما كان له مدة وانتهت»
فقال سالم : « والذي كان يقف مع الناس ويدعى أن ردائه قد اختفى هو أيضا يا أخواني ما حدث هذا يحتم علينا تغيير طريقة حياتنا»
فسأله الجميع: « ماذا تعني بكلامك هذا ؟»
فأجاب سالم قائلا: « في الماضي لم نكن نخاف من الأعداء واللصوص لأننا كنا فقراء ولم يكن لدينا ما نخاف عليه أما ألان فقد صار لدينا ما نخشى عليه وليس لدينا رداء يمكن أن نستخدمه للحماية وصد العدوان ولذلك وجب علينا توحيد بلدنا ليكون على كلمة رجل واحد»
فقالوا له: « وكيف سنفعل هذا ؟»

فرد سالم قائلا: «يجب أن يكون لدينا حاكم يدير أمر هذا البلد ويكون لديه الكلمة الحسم في أموره ونجعل منا فرسان شجعان يقومون بحماية البلد من المعتدين ويحافظوا على أملاكنا التي أن ذهبت لن تعود من جديد»

فسال أبو الفداء الذي تعجب أشد العجب من رد فعل سالم وتفكيره السريع في أمر كهذا ومازال الكل يعيش فاجعة فقده لرداء الأحلام: «ومن سيكون هذا الرجل الذي تريده أن يتولى أمر هذا البلد ؟»

فأجاب سالم : « سنجد طريقة بها نعرف من الأحق ولكن المهم أن نتفق»

فقال احد الرجال: « يا آخى هذا ليس وقته يجب أن نجد أولا حلا لأمر رداء الأحلام»

فرد أخر: » نعم لا داعي لهذا الكلام ألآن وقال الجميع نعم لا نريد أن نتحدث في هذا الأمر ألآن» فشعر سالم بالخيبة وقال حسنا معكم حق يا أخواني وبعد أن ظل الجميع يتشاورون عادوا بالحزن إلى بيوتهم بعد أن فقدوا الأمل في إيجاد الرداء من جديد

أما سالم فقد عاد وحين قابل أخاه قال له: « ماذا سنفعل ؟ الناس لا تهتم بأمر الحاكم هذا»

فقال شاهين الذي لم يعجبه ما فعله سالم وكيف انه ابدي رأيه بشكل يثير الريبة : «يا آخى لقد تسرعت فيما فعلته اليوم... ما كان يجب عليك أن تقول ذلك الكلام في ذلك الوقت»

فتعجب سالم وشعر بالقلق وتساءل: «وما العمل إذا ؟ هل سنتراجع عن خطتنا ونعيد الأردية لهم ؟»

فابتسم أخوه شاهين الذي كان وجهه يشع بالخبث ثم قال: «بالطبع لا... ليس لهذه الدرجة»

فسأله من جديد : « إذا ماذا سنفعل ؟

فأجاب شاهين قائلا: « لا تقلق فأنا سأجعلهم يهرولون إليك وهم موافقون على كلامك ويريدون تنفيذ ما قلته لهم»
فسأله سالم مرة ثالثة: «كيف سنفعل هذا هل لديك خطة ؟»
فأجاب شاهين بكل ثقة: « بالتأكيد لدى خطة.. فبعد ثلاثة أيام سيأتي مجموعة من قطاع الطرق ويهاجمون بعض الناس هنا ويسرقونهم وحين يرى الجميع هذا سترى ما سيحدث بعدها»
فابتسم سالم وقال: « هذه فكرة جيدة ولكن لما بعد ثلاثة أيام لما لا يكون في الغد»
فقال شاهين وهو يبتسم: « يا آخى لا تكن متهورا حتى لا ينكشف أمرك يجب أن نجعل الأمر يبدو طبيعيا فأنا كنت أريد أن يحدث هذا أولا ثم تقترح عليهم اقتراح الحاكم ولكنك سبقت وأخرجت ما بداخلك سريعا والآن تريد أن يحدث هذا في الغد حتى تثير الشكوك أكثر يجب أن نكون أكثر هدوءا وحذرا »
فهز سالم رأسه وقال: « نعم معك حق ثم أبتسم وقال ولكنك أيها الداهية كنت تخطط لذلك من قبل فكم مرة سألتك عن سبب كثرة الجنود الذين استدعيتهم وأنت تقول لي... للتأمين والحماية «
فأبتسم شاهين ورد قائلا: « حتى تعرف كم احبك واخطط لك التخطيط السليم فلو كنا انتظرنا ما حدث لكان الناس شعروا بالريبة ولكانت الشكوك لاحقتنا ولاتهمونا بأننا من محونا أردية أحلامهم لنسيطر على البلدولكن حين يتم الهجوم عليهم هم من سيركضون ورائنا فنحن لدينا الجند والعتاد «
فأبتسم سالم وهز رأسه قائلا: « نعم نعم و هذا هو المطلوب «
ومر الوقت حتى فاتت الثلاثة أيام وفى اليوم الرابع تمنى سالم أن يهاجم البلد مجموعة من اللصوص ويسرقون بعض المنازل

وبعد أن حدث الأمر ظل المسروقون يبكون والناس واقفون ينظرون إليهم ويواسوهم وأبو الفداء الريبة تزداد بداخله أكثر من ناحية سالم وأخوه شاهين

وفى هذه الأثناء قال سالم الذي كان أحد الواقفين: « ألم أقل لكم يجب أن نوحد قوتنا كي نحافظ على أملاكنا من الأعداء ها نحن ألان وقعنا فيما كنت أخشاه وإن بقينا على حالنا هذا سيضيع كل مالنا ونعود من جديد لما كنا عليه من فقر وجوع وذل»

فسأله أبو الفداء: « وماذا تريدنا أن نفعل ؟

فأجاب سالم: «كما قلت يجب أن نولى علينا من يحكمنا ويكون له الكلمة في أمر هذا البلد... ويكون لنا من يحافظ على أمننا من الأعداء»

فسأله من جديد: « ومن ترشح أن يتولى هذا الأمر ؟»

فرد قائلا : «يجب أن نختاره بإجماع الأغلبية من أكبر الرجال فينا وهم أبو هشام وصالح وبكر وأنا

فقال أبو الفداء: « وكيف سنعرف من سيصلح منكم»

فأجاب سالم قائلا: « فلنجعل كل رجل يكتب من يريده في ورقة ويأتي ويلقيها على الطاولة وأنت تقوم بفتح الأوراق ومن سيأخذ أغلبية الآراء يتولى أمر البلاد»

فلما سمع الناس كلامه قالوا: « نعم الرأي هذا والله»

فلما رأى أبو الفداء هذا المشهد لم يعرف ماذا يقول فأستسلم وقال:

«لهم وهو حزين حسنا كما تريدوا» وتم إخبار الكل بالأمر وأمروهم بأن يأتوا ومعهم الورقة التي فيها الاسم الذي اختاروه بعد العصر بساعة

وفى الوقت المتفق عليه أتى الجميع ووضعوا الأوراق على الطاولة وكان عددهم ألف ورقة وهم بعدد الرجال الذين يتولون مسؤولية بيت فبدأ أبو الفداء بفتح الأوراق ليرى من سيكون الرجل المختار

وحين فتح الورقة التي تخصه والتي علمها بعلامة مميزة حتى يعرفها من بين الأوراق وجد الشيء الذي قطع شكه وجعله يتيقن أن سالم هو من دبر كل هذا

فقد وجد الورقة التي كتب فيها اسم من يريده مكتوب فيها اسم سالم فعرف أن سالم مازال لديه الرداء وهو من جعل الأسامي تتبدل لصالحه وبالفعل حين فتح كل الأوراق حصل سالم على أغلبية الآراء وتولى حكم البلد

ويوم بعد يوم صار سالم متحكما في كل شيء في البلد بسلطته وجنوده بصورة سريعة للغاية وأبو الفداء مازال يفكر كيف سيعيد الرداء المسروق ويتخلص من سالم الخائن

وفي أحد الأيام كان أبو الفداء جالسا في منزله فسمع أحد يطرق الباب فقام ليفتحه وحين فتحه وجدا الرجال يبكى فسأله متعجبا: « ما بك يا رجل لما تبكى هكذا ؟»

فرد الرجل قائلا: « انجدني يا أبو الفداء فقد استولى سالم على اغلب ما املك»

فتعجب أبو الفداء وسأله من جديد: « ولما فعل هذا ؟»

فأجاب الرجل قائلا : « لا اعرف.... والله لا اعرف.... فهو يأخذ الأموال غصبا من الناس ويقول إنها ضريبة يجب على الكل دفعها حتى ينفقها على الخدمة العامة «

فأزداد عجب أبو الفداء وسأله من جديد: «ومنذ متى وهو يفعل هذا»

فرد الرجل: «منذ شهر...

ثم سأله: « وهل أنت لم يأتي إليك مبعوثه ليأخذ منك الضرائب ؟»

فقال أبو الفداء: « لا لم يأتي «

فتساءل الرجل متعجبا: «ولماذا يا ترى ؟»

openkan.com

فقال أبو الفداء: « لا اعرف ولكنى سوف اذهب إليه بنفسي وأساله»
فقال الرجل : «حسنا وأرجوك أن تقول له أن يعيد إلي مالي فمكانتك ليس كمكانة احد وربما يصغى لكلامك»
فهز أبو الفداء رأسه وهو حزين ومهموم وقال: « حسنا كما تريد ولا تقلق إن شاء الله سأعيد لك مالك لا تقلق»
فقال الرجل: « شكرا لك ثم انصرف «
وكان السبب في عدم علم أبو الفداء بما يجرى في البلد انه كان لا يختلط بالناس كثير وكان اغلب وقته يقضيه مع أسرته وفى رعاية ماله ولذلك كان مهموما وحزينا لأنه لم يعرف ما حدث سوى بعد شهر ولهذا ذهب مسرعا وحين وصل لقصر سالم رحب به وادخله وبعد أن جلس أمامه قال سالم وهو مبتسم: «كيف أخدمك يا آخى ؟»
فأجاب أبو الفداء قائلا: «مادمت تدعوني بالأخ ربما هذا يسهل ما جئت إليك فيه»
فقال سالم: « بالطبع فأنا لن أنسى انك كنت سببا فيما نحن فيه ألان ومكانتك عندي ليست كمكانة أي فرد آخر»
فقال أبو الفداء: « حسنا شكرا لك ولكن أريدك أن تشرح لي ما الذي يحدث لما تفرض ضرائب على الناس ؟»
فرد سالم الذي مازال مبتسما: وهل هذا ما يغضبك هكذا ؟»
فقال أبو الفداء الذي كان يشعر بالغيظ منه: لأنه يعرف الحقيقة ويعرف انه يخفى رداء الأحلام ولا يعرف لما يستولى على مال الناس رغم ما لديه «منذ قليل أتى إلي احد أهل البلد وكان يبكى لأنك أخذت ماله أيمكن أن تشرح لي لما تفعل هذا»
فأجاب سالم: «يا رجل وهل تصدق هذه الادعاءات كل ما افعله لصالح هذا البلد وحتى نحافظ عليه فالأموال التي آخذها انفق منها على الحرس

وتقوية الفرسان فأنا اجلب من البلدان الأخرى الكثير من الأسلحة وهذا مكلف جدا ولكنه لصالحنا أجمعين»

فقال أبو الفداء : «ولكن الأمر لا يبدو كذلك فمن كان يبكى منذ قليل يقول انك أخذت اغلب ماله فهل تريد أن تجعل الكل فقراء وتجلب الحرس ليحمى الفقراء الجوعى»

فأنفجر سالم بالضحك ورد قائلا: «يا رجل ماذا تقول... هذا كلام ليس صحيحا فأنا آخذ نسبة فقط وبطريقة عادلة فلا تصدق ذلك الكلام البعيد عن الحقيقة فمؤكد أن من جاءك يبكى ذاك أضاع ماله وأتى ليفتري علي»

فأخذ أبو الفداء يفكر قليلا ثم نظر إليه نظرة المقت وعدم الرضي ثم سأله: «هل هذا آخر كلامك»

فأجاب سالم: « بالطبع فأنا قلت لك الحقيقة واتركنا من هذا الآن وقم معي لنتناول العشاء»

فقام أبو الفداء وقال: « لا اعذرني فأنا سأستأذن»

فقال سالم: « حسنا ولكن أرجو ألا تكون غاضب أو حزين منى فأنا لا أتحمل غضبك أو أحزنك منى»

فرد أبو الفداء بصوت منخفض من شدة القهر: « حسنا وبعد إذنك سأذهب ألان»

فقال سالم: « حسنا تفضل»

ومشى أبو الفداء وخرج من القصر وبعدها أتى شاهين على الفور والذي كان يستمع لما يدور بينهما فقال له: « لما تعامل هذا الرجل بلطف هكذا يجب أن تكون حادا معه أكثر من ذلك»

فرد سالم قائلا: « لا لا..... يجب أن أكون حذرا وأنا أتعامل مع هذا الرجل بالتحديد ويجب ألا نعاديه فأنت تعرف مكانته عند الناس ولو انه صار ضدنا سنخسر كثيرا فيكفى ما نفعله بأخذنا لأموال الناس فالناس صارت

obeikan.com

تكرهنا ولم نعد نستطيع نخرج إلا بالحرس»
فقال شاهين وهو متذمر: « يا آخى لقد تكلمنا في هذا الموضوع أكثر من مرة وقلت لك أن الحال لا يستقيم هكذا فهذا ضد قانون الطبيعةفهل هناك بلد كل أهله ملوك ؟ إذا من سيعمل حدادا بناءا جامع للقمامة وهكذا من الأعمال مادام الكل يعيش في هذا الترف»
فقال سالم: « أنا معك في كلامك ولكن لما لم نجلب أشخاص من خارج بلدنا ونجعلهم يعملون تلك الأعمال التي تقول عليها»
فقال شاهين: « لا.... فنحن لا نريد أن ندخل أغراب بداخلنا وكما قلت لك مرات يجب أن نعيش حياة طبيعية ويجب أن يكون هناك الفقير والغنى القوى والضعيف الحاكم والمحكوم»
فأخذ سالم يفكر قليلا ثم قال: « حسنا حسنا كما ترى»
ومرت الأيام حتى فاتت ستة أشهر وذات يوم كان أبو الفداء يسير في الطريق فوجد عمالا يعملون في شيء وكأنهم سيبنون بناءا ما... فسأل أحد الرجال اللذين يعملون قائلا: « قل لي يا آخى ما الذي سيبنى في هذا المكان ؟ «
فرد عليه العامل : «والله يا سيدي لا أعرف ولكن الحاكم من أمرنا بعمل بناء كما وصفه لنا ولكننا لا نعرف ما هو بالتحديد»
فأبتسم أبو الفداء وتساءل متعجبا: « تبنون شيئا لا تعرفون ما هو.... كيف هذا ؟»
فأجاب العامل : « لا أعرف ماذا أقول لك ولكن في الحقيقة الأمر محير فالبناء كما تم وصفه يشبه القصر أو القلعة أو السجن»
فلما سمع أبو الفداء كلمة السجن أنقبض قلبه وقال: « ماذا تقول ؟؟ سجن ؟!»
فأجاب العامل: «نعم.. فهو سيكون بناء ضخم وله أسوار عالية وبه الكثير

من الممرات والغرف فوقف أبو الفداء ينظر إليه وهو مذهول ولم ينطق بكلمة واحدة ثم مشى في طريقه إلى منزله وكلمة سجن تتردد في عقله طوال الطريق وظل لفترة يفكر في الأمر وهو مهموم وحزين ولا يعرف ماذا يجب عليه أن يفعل حتى انه حينما كان في منزله رأته زوجته فشعرت بحاله فسألته: « ما بك يا أبو الفداء هل هناك شيء ؟»

ولكنه من شدة الأنشغال والحيرة لم يرد عليها فهو لم يسمع حتى صوتها وقام من على كرسيه واتجه مباشرا إلى باب المنزل وخرج منه وظل يمشى حتى قادته قدماه إلى قصر سالم فدخل وحين صار أمامه قال له: «مرحبا بك يا رجل لما لم تأتى لزيارتي منذ فترة أين كنت ؟»

فأجاب أبو الفداء : «أريد أن أسالك عن البناء الجديد الذي تبنيه يا ترى ما الحقيقة وراء ذلك البناء»

فرد سالم المبتسم: « يا رجل أبعد كل تلك الفترة بدون أن أراك ولا أتحدث معك تأتى فقط لتسال عن شيء كهذا لم اعهد عليك هذا الجحود من قبل»

فقال أبو الفداء: « لا داعي لهذا الكلام ألان... أريد منك جوابا واضحا عن سؤالي ..أرجوك»

فأجاب سالم : «حسنا كما تريد ذلك البناء هو سجن «

فلما سمع أبو الفداء كلمة سجن شحب وجهه وقال له مستنكرا ومتعجبا: « ولما تبنى سجن بذلك الحجم الذي رأيته ؟ فمساحة الأرض تصلح لمزرعة كبيرة.... هل ستسجن البلد بأكمله ؟»

فلما سمعه سالم أخذ يضحك كعادته ثم رد قائلا: « بالطبع لا ولكن ما لدينا من غرف نستخدمها للعقاب لن تكون صالحة بالمستقبل فنحن بعد أن تبدل حالنا وصرنا أغنياء عددنا سيزيد والطمع سيزيد والجريمة ستزيد وبالطبع يجب أن يكون هناك عقابا رادعا ولهذا سأبنى ذلك السجن فهو لمعاقبة المذنب وحسب... أنت تفهمني أليس كذلك»

فأخذ أبو الفداء ينظر إليه والغيظ والمقت يشع من عيناه وقال له بنبرة غاضبة: « أسمعني جيدا يا سيد سالم لقد مرت شهور منذ توليك حكم هذا البلد وأنت وأنا نعرف كيف حدث هذا فلا داعي لأن تفعل أفعالا تجعلني افشي سرك أمام الناس وأقول لهم كيف حدث ما حدث»

فلما سمع سالم الكلام برقت عيناه وظل قلبه ينبض من الخوف وتساءل وهو يدعى الجهل: « ماذا تعنى بكلامك هذا ؟ أنا لا افهم شيء مما تقول ؟»

فأجاب أبو الفداء ساخرا: « لا تتظاهر بالجهل فأنت تعرف جيدا ما أقصده فأنت من أخفيت أردية الأحلام حتى تتحكم في البلد وقد تأكدت من ذلك بنفسي ولكنى مع الأسف لم اقدر على فعل شيء وخوفا من الفتنة وضياع البلد بأكمله سكت وقلت انتظر حتى أرى ماذا ستفعل وحاولت إقناع نفسي انك فعلت ذلك لمصلحة البلاد وانك تريد توحيدها ومنع العبث بشيء خطير كالرداء وهو الشئ الذي كنت أفكر فيه أيضا وكنت أخشاه وكنت أتمنى إيجاد حل له بالتشاور والاتفاق لا بالتآمر والمكيدة .... ولكن اغلب الظن هو ما حدث و الأمر لم يعد يطاق فظلمك وتجبرك يزيدان مع الوقت والفقر عاد يتفشى من جديد بين الناس والأكثر بشاعة هو الخوف الذي لم نكن نعرفه فالناس صارت تخاف من ذكر أسمك وتحول الكثير إلى عبيد عندك فقل لي ماذا فعل أولائك المساكين لك حتى تفعل معهم هكذا لما لم ترعى العشرة والإخوة التي كانت بينك وبينهم وخنتهم وهدمت أحلامهم واعدتهم لحياة الذل من جديد هيا اجبني وحاول أن تبرر فعلك المشين هذا»

وكان سالم يستمع إلى الكلام الذي ينزل عليه كالسهام المشتعلة حتى إنه كان يتصبب عرقا ولسانه توقف عن النطق وما استطاع تبرير موقفه ولو بكلمة واحدة ولذلك أكمل أبو الفداء قائلا: « يبدو أنك لا تستطيع الكلام

وأنا لن أكون مثلك وسأرحمك وسأترك لك باب التوبة والرجوع إلى الحق ولكنى أحذرك فمهما فعلت أمرك سينكشف يوما ما وستكون عبرة لمن يعتبر فحتى أن قضيت بردائك على كل أهل البلد واستقدمت غيرهم حتما لن يتركوك وستجد منهم من يأخذون حق من ظلمتهم فبالرداء تستطيع القضاء على الناس ولكن الله حي لا يموت فأرجو أن تكون حاكما عادلا وحسب... وأنا سأعطيك آخر فرصة حتى تصحح أخطائك وإلا بعدها سترى ماذا سيفعل معك الناس حين يعرفون الحقيقة»

ثم قام أبو الفداء واتجه إلى الباب وترك سالم الذي كاد قلبه يتوقف مما سمعه

ولذلك عندما أغلق أبو الفداء الباب نادي سالم على احد الحراس وقال له: « قم بالقبض على أبو الفداء والقه في السجن حالا واستدعى لي آخى شاهين وقل له أن الأمر في غاية الخطورة»

وبالفعل نفذ الحارس الأمر وألقى بأبو الفداء في السجن واستدعى شاهين الذي أتى مسرعا وحين صار أمامه قال له في لهفة: «ماذا حدث يا آخى»

فقال سالم المذعور: « لقد انكشف أمرنا أبو الفداء يعرف أن الرداء مازال معنا»

فتساءل شاهين متعجبا: «ومن أين عرفت»

فرد سالم قائلا: « لقد قال لي بنفسه وهددني بأنني إن لم أتراجع عن بناء السجن أنه سيفضح امري ولذلك قبضت عليه ورميته في السجن»

فأبتسم شاهين وقال: « وهل هذا هو الأمر الخطير الذي يزعجك»

فتفاجأ سالم من رد فعل شاهين وسأله مستنكرا: «ما هذه الإبتسامة الساخرة هل تستهين بأمر كهذا «

فرد شاهين قائلا : « في الحقيقة هو أمر لا يستحق كل هذا الذعر ولا يزعج بالمرة فربما لو كان هذا الكلام في البداية لكنت سأشعر بالقلق أما ألان فلا

أبو الفداء ولا غيره يقدر أن يفعل شيء معنا مهما قال»
فسأله سالم: « كيف هذا ؟ ألا تخاف من إنقلاب الناس علينا حين يعلمون بأمر الرداء» فقال شاهين المبتسم صدقني يا آخى مهما فعل لن يصدقه أحد وحتى إن صدقوه سيتظاهروا بأنهم لم يصدقوه خوفا على أنفسهم ولهذا أدعوك أن تترك أبو الفداء يذهب فحبسك له سيكون ضدك»
فقال سالم بغضب: « كيف اتركه بعدما سمعت ما قاله ؟»
فقال شاهين ذو النبرة المطمأنة الواثقة: « صدقني لن يقدر على فعل شيء اتركه وسترى بنفسك»
فأخذ سالم يفكر قليلا ثم استسلم كعادته لكلام أخيه الصغير وقال:
« حسنا كما ترى ولكن أن حدث ما أخشاه ستكون أنت السبب»
فرد شاهين مبتسما ابتسامته المعتادة: « لا تقلق لن يحدث شيء»
وبالفعل أمر الحراس بإطلاق سراح أبو الفداء على الفور
وبمجرد أن خرج ذهب إلى احد كبار الرجال وهو صالح وقال له
هناك امراً هاما يجب أن أقوله لك وهو أمر خطير لا يحتمل التأخير
فترقب صالح وسأله بشغف ما هو هذا الأمر تكلم يا آخى
فأجاب أبو الفداء: « الأمر حين تسمعه ربما لن تصدقه ولكنى اقسم لك بالله انه حقيقي «
فرد صالح قائلا: «يا آخى من دون أن تحلف أنا أعرفك جيدا واعرف انك لا تكذب فهيا تكلم بدون مقدمات»
فهز أبو الفداء رأسه وقال: « حسنا الأمر متعلق برداء الأحلام أتعرف السبب في اختفاء الأردية ؟ «
فأزداد الترقب بقلب صالح وظهر على وجهه وسأله: « هل عرفت السبب ؟»
فأجاب أبو الفداء: « نعم عرفته وليس ألان ولكنى عرفته منذ فترة و

أخفيته خشية الفتنة»

فتعجب صالح وقال: « أولا أريد أن أعرف السبب وبعده أقرر هل إخفائك له كان صحيحا أم لا»

فقال أبو الفداء: « حسنا السبب في اختفاء الأردية هو سالم»

فسأله صالح والعجب عنده زاد لدرجته القصوى : «ماذا تقول ؟؟ سالم !!!! كيف هذا»

فرد أبو الفداء قائلا: « هذه هي الحقيقة فسالم هو من تمنى اختفاء الأردية من باقي الناس ليتحكم في البلد كما حدث وقد تأكدت من ذلك بنفسي»

فسأله صالح من جديد: «كيف ؟»

فأجاب أبو الفداء: « لقد ازدادت الريبة في قلبي حين رأيت سرعة رد فعله بينما كان الكل مفجوع من فقده للرداء وحين وضعت احد الأوراق وميزتها حتى اعرفها وجدت الاسم قد تغير وصار اسمه وبالطبع لن يقدر احد فعل هذا الأمر إلا باستخدام الرداء وبدون كل هذا أظن أنك ترى ماذا فعله وماذا يفعله في الناس»

فقال صالح الذي كان قلبه يشتعل من الغيظ: « وأنت يا أبو الفداء جئت تفصح عن هذا ألان فلو صدقك كل من في البلد ما الفائدة قل لي ماذا يمكن أن نفعل»

فرد أبو الفداء قائلا: «سنقدر على فعل الكثير المهم أن نبدأ فلا يجب أن نترك سالم حتى يستفحل طغيانه أكثر من هذا»

فقال صالح بتحسر وخيبة: « مع الأسف هذه الشعارات لن تجدي نفعا لقد فات الوقت»

فسأله أبو الفداء متعجبا: « إذا ماذا سنفعل ؟»

فأجاب صالح: « لن نفعل شيء»

فسأله والحسرة تملأ قلبه: « هل هذا كلامك الأخير ؟»
فرد عليه: « نعم فلا قوة لنا ولا حيلة في أمر كهذا وأنصحك يا آخى أن تترك هذا الأمر وكأنه لم يمكن فهذا قدرنا»
فقام أبو الفداء وهو يقول حسنا كما تريد ومشى متجها إلى باب البيت وخرج وقلبه مملوءا بخيبة الأمل
ولكنه لم يتوقف وظل يذهب للناس ويحكى لهم عما حدث ولكن كان كلام صالح حقيقي فلم يستجيب له أي أنسان
فالكل تحسر ولكنه خاف من بطش سالم ويأس من فعل شيء ولذلك ذهب أبو الفداء إلى بيته وحين صار أمام زوجته قال لها وهو حزين: «لم يعد لنا مكانا في هذا البلد بعد ألان يجب أن نرحل الليلة»
فتفاجئت زوجته وسألته وهى متعجبة: «لماذا ؟ ما الذي حدث ؟
فأجاب أبو الفداء: « سأحكى لكي لاحقا ولكننا كما قلت لك يجب أن نرحل فلو بقينا هنا لن يتركنا سالم في حالنا بعدما حدث وأنا لن أعرضكم للخطر يجب أن نرحل فهنا لم يعد مكانا صالح لنا»
فأخذت الزوجة تبكى وقالت: « ولكن أين سنذهب ؟»
فقال: « لا اعرف والله ... حقا لا اعرف ...ولكن كما قلت لك هذا البلد سيكون عيشنا فيه عسير»
فردت الزوجة قائلة: « أنا لا أعرف ماذا حدث ولكن لن تكون حياتنا أكثر عسرا من الحياة في العراء فعلى الأقل نحن هنا في دارنا نأكل ونشرب ولدينا جدران تحمينا أما إن ذهبنا فربما لن نتحمل طويلا وإن تحملنا نحن فلن يتحمل ابنتك وابنك فعليك أن تفكر فيهما»
فقال أبو الفداء: « أنا اعرف أن ترك بلدنا أمر عسير ولكنى اخشي عليكم فأنت لا تعرفين كم الحسرة التي بقلبي على الحلم الذي لم يطول حتى صار كابوسا ولكن ماذا افعل فهذه إرادة الله»

فأرادت الزوجة معرفة ما حدث فسألته: «أنا لا افهم ما الذي حدث لكل هذا ... أرجوك أن تخبرني»

فصمت أبو الفداء المقهور ووضع يده على رأسه وأخذ يفكر ثم نظر إليها و قال بعد التفكير العميق: « سأخبرك بالتأكيد عما حدث ولكن ليس ألان فخلقي لا يسمح بأن احكي ورغم أنني لا اعرف ماذا افعل إلا أنني سأنفذ إرادتك فإن كانت هذه رغبتك فكما تريدي فلنبقى ويحدث ما يحدث»

وبالفعل بقي أبو الفداء وأسرته في دارهم وازداد انغلاقه على نفسه فلم يكن يخرج إلا للضرورة وبعد مرور أسبوعا واحدا وجد أحد يطرق الباب فلما ذهب وفتحه وجد بعض معارفه من أهل البلد وكانوا خمسة رجال وكان من بينهم نعمان فرحب بهم وضايفهم ثم جلس يتحدث معهم فقال أحدهم: « هل أنت بخير يا أبو الفداء ؟»

فقال أبو الفداء: «أنا بخير والحمد لله»

فسأله آخر: «إذا ما حقيقة ما سمعناه مؤخرا ؟»

فرد أبو الفداء علي بسؤال قائلا : «ما هذا الذي سمعتموه مؤخرا ؟»

فرد آخر عليه: « ألا تعرف أنهم يشيعون عنك في البلد انك أصبت بنوبة من الجنون»

فتفاجأ أبو الفداء وتساءل متعجبا : « الجنون !!! ما هذا الذي تقوله ؟»

فرد الرجل: « لست أنا من يقول.... الناس هم من يقولون فقد انتشر الخبر في كل أنحاء البلد والكل يحكى أنك تتخيل أن الرداء مازال موجودا وان سالم لديه رداء يخفيه»

فلما سمع أبو الفداء الكلام عرف على الفور أن سالم من فعل هذا فسألهم وهو مستاء بشدة: « وهل تظنون أن هذا الكلام من وحي الجنون ؟»

فأجاب نعمان: « إذا أنت تقول هذا بالفعل ؟»

فرد أبو الفداء قائلا: « نعم لأن هذا ما حدث وإن لم تصدقوني فهذا شأنكم

ولا دخل لي به ولكن ما قلته هو الحقيقة بعينها»
فأخذ الجميع يبتسم وكأنهم تأكدوا أنه أصابه الجنون بالفعل وقال نعمان من جديد: « وكيف عرفت أن سالم لديه رداء ؟»
فرد أبو الفداء والذي شعر بالغيظ من طريقتهم التي بدي عليها السخرية: « ليس مهماً أن تعرفوا وليس مهما أن تصدقوني وإن كنتم تريدون أن تعتبروننى مجنونا فاعتبروا أنني مجنون ...فمهما قلت لن يتغير شيء»
فقال أحدهم وهو مازال يبتسم لما غضبت هكذا يا رجل نحن نتحدث ونريد أن نعرف الحقيقة ليس أكثر»
فأزداد الغيظ في قلب أبو الفداء وقال: « حسنا لا يوجد مشكلة ولكنى لن أتحدث في هذا الأمر مجددا «
فوكز نعمان الرجل في جنبه ثم قال له بطريقة وكأنه يكلم طفلا أو رجل مجنونا : « حسنا يا أبو الفداء سنتركك حتى تهدأ أعصابك ثم قاموا جميعا وخرجوا من بيته وبعد أن خرجوا سمع صوت ضحكاتهم التي لم يكتموها حتى يبتعدوا عن البيت»
أما هو فقد ارتفع ضيق صدره وغيظه منهم إلى درجته القصوى واخذ يتذكر معاملتهم السابقة له ويزداد المقت في قلبه
ومرت الأيام حتى فاتت أربعة أيام وفى اليوم الخامس وجد أبنته الصغيرة عائدة من خارج المنزل تبكى بحرقة فسألها: « ما بك يا زينب ماذا حدث؟»
فأجابت قائلة: «الأولاد والبنات يدعونني بابنة المجنون «
فلما سمع أبو الفداء كلامها شعر بالحسرة وقال لها: «اهدأى يا بنيتي ولا تحزني فهم لا يعرفون شيء»
ثم ذهب على الفور إلى زوجته وقال لها: «ارأيتى ؟.... فلم يمر سوى أيام معدودة حتى صرت المجنون وانتم أسرة المجنون فانا قررت ولن أتراجع وان لم تريدي أن تأتى معي فالتبقى كما تريدي وليذهب كل منا لحاله على

الأقل لا اجلب لكم الضرر أكثر من ذلك وأتخلص من السجن الذي أنا فيه فالقرار لك هل ستاتين معي أم ستمكثين هنا»

فقالت الزوجة الحزينة: «أنت تعرف أنني لن أتركك وحتى أن رفضت طلبك من قبل كان خوفا من المجهول ولكن مادام الأمر هكذا فالنذهب والله يرعانا ولكنى في حيرة ولا اصدق ما يحدث هل يبلغ النكران هذا الحد ؟ لقد نسوا جميعا انك من كنت سبب في جلب الرداء الذي كان سبب في ما هم فيه من خير كيف يفعلون معك هذا ؟ كيف ينعتونك بالمجنون وهم يدركون جيدا انك لست مجنونا «

فأبتسم أبو الفداء ابتسامة الحسرة ورد قائلا: « هم لم ينسوا ما فعلته ولم يصدقوا أنى مجنون ولكنهم تناسوا وجعلوا أنفسهم يصدقون و قلوبهم تخفى الحقيقة فالكل يعرف أنني أقول الحق ولكن التصديق بشيء كهذا سيولد الألم في قلوبهم والألم سيدفعهم إلى المواجهة وتكلفة المواجهة مع سالم ستكون غالية الثمن ولذلك رضوا بالتناسي والتظاهر بالتصديق خوفا من المواجهة ليس أكثر»

فأخذت الزوجة تفكر في كلام زوجها ثم قالت: « نعم نعم فهمت قصدك ومهما كان ما سيحدث أنا سأتى معك فلعل الله يكتب لنا خير مما تركناه»

فأبتسم أبو الفداء وقال: « هذا هو عين العقل ولا تقلقي فالله لن يتركنا ثقي في هذا»

فقالت: « ونعم بالله»

وبالفعل اخذ أبو الفداء وزوجته يجهزان الأغراض للرحيل من البلد

وفي مطلع الفجر مشى هو وزوجته وابنته وابنه في طريقهم حتى خرجوا من حدود البلاد

وفي طريقهم كانت الزوجة حزينة وأبنه وأبنته لا يعرفان ما الذي يحدث

وكلما سئلا يقول لهما: « إننا سنذهب في رحلة»
ومر الوقت وهم يسيرون في الصحراء في الطريق الذي سلكه أبو الفداء من قبل وأوصله إلى المنزل الذي وجد فيه الرداء ولسوء الحظ أن أبنه حسن كان مريضا بنوبة برد شديدة واشتد عليه في الطريق لبرودة الطقس فقال له بصوت المريض: «أبى اشعر أنني متعب للغاية»
فشعر أبو الفداء بالحزن الشديد وقال: « حسنا سنخيم في هذا المكان لنستريح وبعد طلوع الشمس نكمل «
وبالفعل نصب أبو الفداء الخيمة وادخل أغراضه وأسرته فيها ولكن كان هناك مشكلة أن سرعة الرياح كانت شديدة للغاية وكان يخشى ألا تتحمل ولذلك اخذ يثبتها بقوة حتى لا تقذفها الريح
ومضى الوقت حتى طلعت الشمس وبمجرد أن أنير المشهد أمامه لمح المنزل الصغير الذي وجد فيه الرداء فشعر بالسرور ودخل على أسرته وقال لهم: « هيا سنذهب من هنا»
فقالت الزوجة: « إلى أين ؟»
فأجاب قائلا: «سنذهب للبيت:
فلما سمعت الزوجة والابن والابنة كلمة البيت فرحوا وابتسموا وقالوا في صوت واحد: « سنذهب إلى البيت ؟»
فتحسر أبو الفداء وقال بصوت المقهور الخجلان: « لقد فهمتموني خطأ فأنا أقصد بيت الصحراء الذي وجد فيه الرداء فهو قريب من هنا فهناك سنجد الأمان أكثر من هذه الخيمة وبالقرب منه ربما نجد النبع الذي تمنيته من قبل فنحن سنحتاج للماء بالتأكيد»
فعاد الحزن إليهم من جديد وقالت الزوجة: « حسنا كما ترى»
ثم قامت وساعدت أبنها المريض ومشى الجميع متجهين إلى المنزل الصغير وحين وصلوا دخلوه ووضعوا أغراضهم فيه وبعدها قال أبو الفداء لأبنه

هيا يابني استلقى على هذا الفراش فهو مريح للغاية وسيساعدك على الشفاء بإذن الله فقال الصبي: « حسنا يا أبي وذهب واستلقى على الفراش كما قال له أبوه «

ومر الوقت وأبو الفداء وأسرته جالسون مهمومون ولا يعرفون ماذا سيفعلون في الأيام القادمة فقالت الابنة الصغيرة: « أريد أن اشرب يا أمي» فقالت الأم: « حسنا يا بنيتي وقامت لتجلب لها الماء ولكنها حين ذهبت لتخرج زجاجة المياه إذا بها تجدها فارغة فقالت لأبو الفداء لقد كانت آخر زجاجة معنا ونفذت هل هناك مكان قريب من هنا نجلب منه الماء» فرد قائلا: « نعم فمؤكد أن النبع مازال موجود وهو قريب من هنا سأذهب واملء الزجاجات في الحال ثم ذهب بالفعل متجها إلى نبع المياه» وظل يمشى حتى وجده فأبتسم وقال: « الحمد لله ها هو النبع» فملء منه جميع الزجاجات ومشى في طريقه إلى المنزل من جديد وحين اقترب سمع صوت بكاء فأسرع وحين دخل وجد زوجته وابنته تبكيان فقال وهو مفزوع: « ماذا حدث ؟»

فأجابت الزوجة قائلة: « لقد اختفى حسن»

فسألها وهو متعجب: « ماذا تعنى بأنه اختفى ؟»

فردت قائلة : « لا اعرف ولكنه كان يرتعش من البرد فنادي علي وقال لي أريد أن أعود إلى المنزل يا امى وبعدها اختفى ولا اعرف أين ذهب ؟»

فلما سمع أبو الفداء هذا الكلام برقت عيناه وعادت ذاكرته إلى الوراء واستحضر اليوم الذي قضاه في المنزل وبعد أن تذكر كل شيء ابتسم ابتسامة المكتشف المنتصر وقال: « إذا هو..... إنه الفراش .... نعم انه الفراش»

فتفاجئت الزوجة الباكية وتساءلت متعجبة : «ماذا تقصد بكلامك هذا ؟ ولما تبتسم هكذا»

فأجاب قائلا: « لقد تذكرت ما حدث من قبل فأنا عندما قضيت ليلتي في هذا المنزل نمت على هذا الفراش ولأن البرد كان قارسا تمنيت أن أجد الحطب وبمجرد أن تحركت لأقوم لأبحث عن حطب وجد حطبا بجانبي ولم اعرف من أين أتى ولكنى ألان عرفت أن الحطب جاء بقوة الفراش التي تعادل قوة الرداء يالا غبائي كيف لم أفكر طول الفترة الماضية في أمر كهذا كان يجب أن أتذكر أن الأماني بدأت منذ وجود الحطب قبل أن ارتدى الرداء .....كيف نسيت ولم أفكر في هذا الأمر طول المدة الماضية يبدو أن فرحة الرداء أشبعت نفسي... وحزني عليه اخذ عقلي»

فقالت الزوجة التي كانت تستمع لكلامه وتحليله لما حدث معه ولكن لا تفكر في شيء سوى ولدها: « هذا يعنى أن أبني ذهب إلى المنزل»

فأجاب قائلا نعم بالتأكيد وعلينا أن نجرب ألان ؟: « ثم ذهب مسرعا وهو في قمة الشغف والترقب واستلقى على الفراش وقال متمنيا: « أتمنى أن يختفي الرداء من عند سالم وان يعود إلي مرة أخرى..... وفجأة وجد الرداء قد عاد ففرح وقال وهو مبتسم ابتسامة النجاة الحمد لله لقد عاد الرداء وسيرجع الحق لأصحابه»

فقالت الزوجة التي كانت تريد أن تطمأن على ابنها أولا: « الحمد لله ولكن يا رجل أريد أن أرى أبني»

فرد وهو مازال مبتسما: « سامحيني فقد كنت احلم بهذا اليوم منذ شهور ولذلك جعلته أولا ولكن لا تقلقي سأتمنى ما تريديه ثم ارتدى الرداء وكأنه يريد أن يجربه أو كان متشوقا له فالفراش كان يكفى ولكنه ارتداه لإشباع الفراغ الذي كان يشعر به فقال متمنيا: « أتمنى أن تعود ابنتي وزوجتي إلى البيت فتحققت الأمنية وعادتا إلى البيت أما هو فقال في نفسه

وألان يجب أن نعاقب الخائن ونرجع الحقوق ونكشف المستور» ولكنه قبل أن يتمنى شعر بأن ارض المنزل تهتز وكأن هناك زلزال فجرى مسرعا

حتى خرج منه وبعدها بلحظات أنهدم البيت وتساوى بالأرض وكأن الأرض ابتلعته فتساءل وهو متعجب لما حدث هذا يا ترى ؟!!! ثم اخذ ينظر متحسرا عليه وبعدها قال: « ما حدث قد حدث والحمد لله أنني لحقت الفراش قبل أن يضيع هو الأخر ويضيع معه حلم استعادة الرداء المسروق والأن يجب أن أعود وأبين للناس الأمر وأعاقب من خاننا وقبل أن يذهب أخذ يفكر ماذا سيفعل حين يعود وبعد التفكير تمنى أن يجعل سالم بدون جنود وان يُقيد ويُلقى بجانب التله

والأمنية الثالثة كانت أن ينادى صوت في الناس بأن يجتمعوا هناك ويقفوا وينتظروا امرأ هاما فتحققت الأماني على الفور وصار جنود سالم يتطايرون ويعود كل واحد منهم لمكانه الذي كان فيه قبل أن يجلبه سالم للعمل عندهفمنهم من عاد لبلاده البعيدة التي أتى منها ومنهم من عاد لمهنته القديمة التي كان يعمل فيها في البلد وصار الصوت الذي ينادي على الناس بأن يجتمعوا عند التله يسمعه الجميع فيهرولون ناحيتها وهم متعجبون مما يحدث وقد زاد العجب عندما رأوا سالم مقيد وملقى على الأرض هناك ومن ضمن هؤلاء بالطبع شاهين والذي فزع وتملكه الرعب حين رأى منظر أخاه مقيد عند التله ولهذا تركه مبتعدا عن المكان بعد أن عزم على الهروب من البلد أما أبو الفداء فقد ذهب منطلقا بحصانه ناسيا أن يتمنى العودة ليعود في الحال كما حدث في المرة السابقة وحين وصل ورآه الناس سألوه متعجبين: « ما الذي يحدث يا أبو الفداء ؟ لما السيد سالم مقيد هكذا ؟ وما هذا الرداء الذي ترتديه ؟

فأشار أبو الفداء على سالم وقال: « هذا الغادر هو من جعل أرديتنا تختفي حتى يتحكم في البلد وهو من أرسل اللصوص ليسرقونا ليدب الخوف فينا ونرضى بكلامه وبحكمه وهو أيضا من جعل اسمه يربح وهذا هو الأمر الغبـي الذي أوقعهفقد كتبت في ورقتي اسم آخر فرأيتها قد تغيرت وصار

اسمه المكتوب ومن هنا عرفت أنه الخائن ورغم أنني عرفت هذا منذ فترة إلا أنني خشيت أن يحدث فتنة في البلد ولذلك سكتت ولكنى عندما رأيت الظلم يستفحل حتى وصل لبناء سجن ليسجن فيه البلد بأكمله تكلمت وبدأت بالكلام معه ولكنه لم يستجيب وأمر بحبسي ثم تركني بعدها بساعات وعندما خرجت تكلمت مع صالح ومع بعض الناس هنا ولكنى وجدت منهم الخوف والحذر والعجز عن فعل شيء وبعد هذا عرفت لما تركني بساعات فقد أشاع بينكم أنى مجنون ورغم أن الكثير منكم صدق كلامه إلا أنني سامحت الجميع وكأن شيئا لم يكن»

فأخذ الناس الغاضبون ينظرون لسالم بغيظ وحقد وكره شديد والكل يريد أن يمزقه بأسنانه ثم نظروا لأبو الفداء وسألوه: «وكيف استعدت الرداء ؟»

فأجاب قائلا: « في المكان الذي وجدت الرداء فيه... كان هناك فراشا بنفس قوته ومنه استعدت الرداء وجردته من جنوده وقيدته كما ترونه الأن

فقال سالم: « وهو حزين ومقهور هذا كله بسبب آخى شاهين هو من أغواني وجعلني افعل هذا أرجوكم أن تسامحوني»

فقالوا جميعا و الغضب في عيونهم كنيران البركان: « وهل أنت صغير كي تسمع كلام أخوك لما أطعته وخنتنا «

فتوسل إليهم قائلا: « يا أخواني سامحوني فقد عاقبني الله وها أنا الأن أمامكم أطلب السماح «

فرد أبو الفداء مستنكرا : « تقول أن شاهين هو السبب ثم إبتسم إبتسامة السخرية وقال: « وما الذي قاله لك وكيف أقنعك أيها الكبير العاقل»

فأجاب والدموع تكاد تنزل من عيناه: « لقد اقنعني بأن هناك خطرا في إمتلاك كل بيت لشيء خطير كالرداء وأن البلد لا يمكن أن تستمر هكذا بدون فرد يحكمها فقد كنت اخشي من أن يقع الرداء في يد عدو لنا ويجردنا من قوتنا ويستولى على البلاد»

فأبتسم أبو الفداء من جديد وقال: « نعم نعم فقلت تستولي عليها أنت بدلا من العدو اسمعني جيدا يا رجل كل ما قلته هي أعذار أقبح من ذنوب وأنت لم تكن تجرى وراء صالحنا كما تقول ولكن الأمر أعجبك وأعجبتك السيطرة والتجبر والطغيان الذي أرضى هواك ولكنك خُدعت ولأريك ما سيجعلك تتحسر أكثر سأتمنى أن نرى ما كان يخطط له شاهين في المستقبل»

فلما تمنى أبو الفداء ظهرت على الفور صورة شاهين واضحة لأعين الناس وهو يحدث زوجته ويقول لها: « لا تقلقي فأنا بالطبع لم افعل كل هذا من اجل عيون آخى كما تظنين فأنا جعلته في الواجهة حتى يبدو الأمر طبيعيا أمام الناس فهو الكبير والذي كان يصلح للظهور في الواجهة وتولى الحكم بدون أن يشك فيه احد ولكن بالطبع بعد أن يموت سأكون أنا الأجدر بالحكم بعده»

فردت الزوجة مستنكرة وعابسة : « وهل ستنتظر حتى يموت ؟ «

فأجاب مبتسما ابتسامته الخبيثة : « بالطبع لا ولكن سأنتظر حتى تأتى الفرصة المناسبة حتى أتخلص منه « وفى هذه اللحظة ذهبت الصورة وعاد أبو الفداء للحديث قائلا: « ها أنت رأيت كيف كان يخطط لك أخاك العزيز الذي كنت تأويه في منزلك هو وزوجته وابنه ويكفى أنك ترى الناس جميعا ولا تراه فمؤكد أنه هرب وتركك وحدك»

وكان سالم يبكى بحرقة مما سمعه ولا يقدر على الكلام والناس ينظرون إليه وهم ماقتين عليه والبعض شعر بالشفقة تجاهه

أما أبو الفداء فقال له : «رغم ما سمعناه إلا أنى لا اقدر أن اصفح عنك ولذلك ستُلقى أنت وهو في السجن وبعدها سنتشاور لنرى ماذا سنفعل معكما ولهذا أتمنى أن تلقى أنت وأخوك في السجن ألان» فطار سالم والقي في السجن هو وشاهين.

وبعدها ظهر السرور على الناس وصارت ابتسامة كل منهم مشرقة كشمس الظهيرة وقالوا لأبو الفداء: « وألان اعد لنا أرديتنا أيها البطل»

فابتسم أبو الفداء وقال: « حسنا ستقومون في الغد فتجدوا الأردية قد عادت من جديد»

فقال أحدهم: « ولما في الغد نريدها اليوم «

فرد أخر عليه: « يا رجل أصبر وهل كنت تحلم بهذا»

فقال الرجل مبتسما: « حسنا معك حق»

وقال الجميع: « شكرا لك يا أفضل من فينا «

وذهب الجميع إلى بيوتهم وهم في قمة السعادة إلا واحد فقط ظل واقفا ورأسه محنية إلى الأسفل ويبدو عليه مظاهر الخجل وكان هذا الرجل هو نعمان فنظر إليه أبو الفداء وسأله: «أتريد أن تقول شيء ؟»

فأجاب بصوت منخفض: « أظن أنك لن تعيد إلي الرداء أليس كذلك ؟»

فقال أبو الفداء والذي كان يشعر بعدم الصفاء من ناحية نعمان:

« اسمعني يا نعمان سأتكلم معك بصدق أنا لم أنسى ما فعلته معي فإن كان الكل صدق أنني مجنون كان من المفترض ألا تصدق أنت بالتحديد و حتى أن صدقت كان يجب أن تمتنع عن المجيء إلي والسخرية منى كما فعلت ورغم أنى كما قلت لم أنسى ما حدث إلا أنني سأعاملك بأخلاقي ولن أفعل مثلك وسأعطيك الرداء كباقي الناس «

وكان نعمان يستمع ويشعر بالنار تستعر في قلبه من كثرة الضغط النفسي الذي كان يشعر به

فهو مقهور من تأنيب أبو الفداء له بهذا الشكل ولكنه لم يستطع أن يقول له أنه لا يريد الرداء فهو بالطبع يريده.... ولذلك تحمل

وقال له بعدما انتهى: « حسنا شكرا لك وذهب إلى بيته وهو مشتعل من الغيظ»

وبالفعل نفذ أبو الفداء ما وعد الناس به... فحين استيقظ الكل وجدوا الأردية قد عادت ففرحوا وصاروا يرقصون من السعادة

وحين ذهبوا إليه كي يشكروه قالت لهم زوجته: « لقد سافر زوجي وقال أنه سيقضي بعض الوقت وبعدها سيعود ولم يخبر أحد أين ذهب ولما ترك بيته هكذا « وفي نفس اليوم الذي عادت فيه الأردية كان نعمان شديد الفرح حين وجد الرداء و لم يصبر ولو ساعة واحدة حتى ارتداه وهو في غرفته وتمنى قائلا: « أتمنى أن يلتهم أبو الفداء اليوم أسد لعين ويمزق لحمه أرباً ولا يبقى منه قطعة سليمة» وفجأة وجد نعمان شيئا غريبا يحدث فقد وجد الرداء يشتعل ففزع وخلعه سريعا وألقاه على الأرض وظل ينظر إليه حتى احترق بالكامل فأزداد الغيظ في قلبه

وقال وهو يكاد يموت من شدة الحقد والمقت: « أبو الفداء الخبيث لقد خدعني .... كنت أعرف أنه سيخدعني ويرسل إلي رداءا مزيفا ثم قال بصوت جهور أجش يا له من ملعون» ثم ضرب أحد الفازات وجعلها تقع على الأرض فانكسرت ولما سمع الصوت أبنه الصغير دخل عليه الغرفة واقترب منه وسأله قائلا: « ماذا حدث يا أبي ؟»

فدفعه نعمان بيده في صدره دفعة قوية وهو يقول: «اغرب عن وجهي ألان «

فأندفع الفتى الصغير الهزيل ذو الصحة الضعيفة من شدة الضربة أمتارا إلى الوراء ثم سقط على الأرض وفقد الوعي

فلما رآه نعمان ذهب إليه وهو ملهوف واخذ يحاول إيقاظه وهو يقول: « ماذا حدث لك يابني هيا إنهض هيا إنهض» ولكن الصبي لم يبدى أي أستجابة فأخذ نعمان يقترب بيده من رقبته ببطء وهى ترتعش من الخوف وحين وضعها على مكان نبض القلب اكتشف أنه فارق الحياة

فأخذ يضحك مثل المجنون ويقول لقد قتلت أبنى بيدي لقد قتلت أبنى

بيدي وفى نفس الوقت دخلت عليه زوجته فلما رأت الصغير ملقى على الأرض ونعمان يبكى بحرقة بعد أن تحول من الضحك إلى البكاء
قالت في فزع: «ماذا حدث ؟»
فأجاب نعمان والدموع تنزل من عينه كالسيل: « لقد مات.. لقد مات بيدي... أنا من قتلته « فلما سمعت الأم هذا الكلام سقطت مغشيا عليها وأكمل نعمان البكاء وهما بجانبه وهكذا انتهت أسرة بأكملها في لحظات شيطانية ظالمة
فأبو الفداء لم يخدعه كما ظن فما فعله أنه تمنى عودة الأردية ولكنها عودة مشروطة بما يتمناه المرء فإن تمنى أحد شيء فيه شر يفقد ردائه إلى الأبد حتى أنه جعل الشرط على نفسه
وكان هذا هو سبب سفره واختفائه عن الأنظار فقد تيقن أن الناس ستلجأ إليه حين تفقد أرديتها ولذا فضل الابتعاد فبعد مرور أسبوع على اليوم الذي حدث فيه ما حدث لنعمان وأسرته كان أحد الرجال وهو يدعى هلال جالسا مع صديقه فقال له وهو متعجب بشدة: « يا رجل هل أنت أحمق لما تشغل بالك بأمراة متزوجة ولديها أولاد واكبر منك سنا وأمامك من هن أجمل منها وينتظرن كلمة منك أنت تبحث عن المصاعب وحسب»
فقال هلال: « لا اقدر يا أخى فأنا ساجن... فأنا اعشقها وأريدها لي بأي طريقة»
فسأله صديقه: « وماذا ستفعل هل ستذهب وتطلب يداها من زوجها واخذ يضحك»
فأشتعل هلال غيظا ورد قائلا: « هل تسخر منى هيا اغرب عن وجهي لا أريد أن أراك... هيا من هنا»
فقال صديقه: « ما بك هل ستفرغ غضبك علي سأذهب ولن أعود هنا

من جديد»
فقال هلال: « هذا أفضل فأنا لا أريد أن أرى وجهك مرة أخرى»
فرد صديقه: « وهو غاضب حسنا سأقوم ولن ترى وجهي مجددا» ثم قام ومشى ذاهبا إلى بيته وهو ماقت عليه أما هلال فظل يسال نفسه والشيطان مسيطر على عقله: « ماذا افعل يا ترى ماذا افعل حتى أنالها ماذا افعل ماذا افعل» ثم ابتسم ابتسامة خبيثة وقال» ولما أحير نفسي وبيدي حلال العقد ثم قام وارتدى رداء الأحلام وتمنى أمنية وهي
« أن يُقتل خالد اليوم « وكان خالد هذا هو زوج المرأة التي يريد أن يتزوجها وبعد أن تمنى وجد ما حدث مع نعمان يحدث معه بالضبط فقد وجد الرداء وكأنه يشتعل فتفاجأ وفزع وخلعه سريعا وألقاه على الأرض وهو يقول: « ماذا حدث ؟»
وظلت النار تأكل الرداء حتى صار رمادا وبقى هلال مذهول ولا يعرف لماذا أحترق فخرج مسرعا من بيته قاصدا بيت أبو الفداء وعندما وصل قالت له زوجته : « والله يا آخى أبو الفداء لم يعد حتى ألان»
فسألها هلال: « ومتى سيعود ؟»
فأجابته: « لا اعرف «
فقال هلال المفجوع والمرتبك في نفس الوقت: « حسنا حسنا ولكنى أرجوكى أن تبلغيه أنني أريده في أمر هام عندما يعود»
فقالت: « حسنا سوف اخبره»
ومضى هلال وهو لا يعرف ما الذي حدث واقتادته قدماه إلى صديقه الذي كان معه منذ قليل وحين وصل سأله: « لما أتيت من جديد الم تقل منذ قليل انك لا تريد رؤيتي ؟»
فرد هلال قائلا: « هذا ليس وقتا لمثل هذا الكلام هناك امرأ هام»
فسأله الصديق متعجبا: « ما هو هذا الأمر الهام ؟»

فأجاب هلال : «حين تركتني ارتديت الرداء وتمنيت أمنية وبعدها انتظرت تحققها ولكنى وجدت الرداء قد اشتعل وأحترق حتى صار رمادا في ثواني»
فتفاجأ صديقه وشعر بالفزع وقال له: «لحظة واحدة « وذهب ليرى هل حدث لردائه أيضا نفس الشيء أم لا... فوجده كما هو فأخذ نفسا عميقا وعاد لهلال من جديد وقال له: «لقد وجدت ردائي كما هو «
فتساءل هلال في اندهاش : «إذا لقد حدث هذا لردائي فقط لما يا ترى ؟»
فأجاب صديقه: « لا اعرف .. ولكن قل لي ما هي تلك الأمنية التي تمنيتها ؟»
فأرتبك هلال وقال: « تمنيت أمنية وحسب»
فرد صديقه مستنكرا: « أمنية وحسب وهل هي سر قل لي ماذا تمنيت»
فغضب هلال وقال: « هل ينقصني أن تحقق معي قلت لك أمنية وحسب .. كما يتمنى أي إنسان»
فقال صديقه الذي اغتاظ منه: « مادمت لا تريد أن تقولها لما أتيت إلى هنا ولما تسالني عما حدث لك»
فقال هلال وهو غاضب: « نعم لقد أخطأت حين جئت إليك « ثم قام وخرج من بيت صديقه وذهب متجها إلى بيته وهو عابس الوجه وحزين ومهموم على ما حدث وبالطبع لم يستطع فعل شيء سوى الخضوع لأمره الواقع وبعد عدة أيام أخرى كان رجل من سكان البلد أيضا وهو إبراهيم جالس هو وزوجته فقالت له: « أبقي هكذا لا تحرك ساكنا حتى تصحو فلا تجد الرداء وكل شيء فعلته به ستراه مدمرا»
فقال إبراهيم: « وهو متعجب وماذا تريدني أن أفعل»
فقالت: « قم وتحرك وانتهز الفرصة فأنت بيدك سلاح قوته في الأسبقية واقضي على سلاح أخوك الحاقد ذاك الذي لا يُخفى الحقد حتى في كلامه فهو مؤكد يريدك أفقر منه كما كنت ويريد أن يجعلك خادمه كما كنت

وإن لم تتحرك سيسبقك ويتمنى أن يضيع ردائك وكل مالك»
فقال إبراهيم: « لا ..لا اعتقد أن شره يصل لهذه الدرجة فبعد هذا الرداء لا أحد يفكر في الأخر فكل واحد مشغول بحاله وبالنعيم الذي يحيا فيه فما الداعي لأن يفعل أحد بأحد ما تقوليه... هذا شيء لا يصدقه عقل»
فأبتسمت إبتسامة سخرية ومقت وقالت: « أمرك عجيب وكأنك نسيت سريعا سالم والذي فعله... ولولا أبو الفداء لجعلنا كلنا عبيدا له في اقرب وقت»
فلما سمع إبراهيم هذا الكلام شرد ذهنه واخذ يفكر قليلا ثم قال بعدها : « والله لا أعرف فهذا الأمر محير حقا فكلامك يبدو منطقيا..ولكنى أخشي أن أكون ظالما
فقالت الزوجة: « لا محير ولا شيء هيا قم الأن وتخلص من سلاح عدوك قبل أن يفعلها هو وتندم وقت لا ينفع فيه الندم»
فازدادت حيرته وأخذ يفكر من جديد ثم قال: « في الحقيقة هذا الأمر صعب ويحتاج إلى وقت لاتخاذ قرار فيه»
فشعرت الزوجة بالغيظ وقالت: « يبدو أنك لن تسمع نصيحتي وكأنني عدوتك فكما تريد ... أنتظر حتى تصبح ذات يوم فتجد نفسك خادما لأخيك كما كنت بالماضي «
فصمت إبراهيم من جديد وبعد وقت من الصمت والتأمل قال: «لن يمر اليوم إلا وقد حسمت هذا الأمر أما بالفعل أو بالتراجع»
فشعرت الزوجة ببعض الطمأنينة وقالت : «حسنا ولكن لا تطل أكثر من ذلك فالوقت ليس في صالحك»
فرد قائلا: « حسنا معك حق»
وبالفعل ظل إبراهيم يفكر لساعات فيما يمكن أن يفعله حتى توصل أخيرا لقرار وذهب إلي زوجته ليخبرها به وحين صار أمامها قال لها: «لقد

حسمت الأمر أخيرا واتخذت القرار»
فلما سمعت الزوجة كلامه شعرت بالقلق الشديد وسألته وهى خائفة أن يخيب أملها: «وماذا قررت أن تفعل ؟»
فأجاب قائلا: « لقد حسمت الأمر بأن أفعل ما قلتيه فأنا عندما فكرت في الأمر تذكرت ما كان يحدث من قبل وتأكدت انه ربما يأتي اليوم ويرجعني كما كنت خادما له فأنا اشعر دوما بكرهه الشديد لي وعشقه لأذلالى ولن اترك له ولو فرصة واحدة ليعود بها كما كان وأعود أنا كما كنت»
فأنشرح قلب زوجته وقالت له وهى تكاد تطير من الفرح: « هذا هو الكلام السليم وأنت لن تفعل معه ما سيفعله بك فأنت ستتجنب شره وحسب ولتترك له ما يملكه كما هو»
فرد إبراهيم قائلا: « نعم فأنا قلت هذا أيضا» وبعدها ذهب إلى غرفته وارتدى الرداء ثم قال: «أتمنى أن يفقد آخى ردائه الأن ولا يعود له من جديد وبعد أن أنتهى تفاجأ بالرداء يشتعل كما حدث مع هلال ونعمان ففزع وخلعه ورماه على الأرض وظل ينظر إليه وهو يحترق في ذهول و يقول يا ويلي لقد ضاع الرداء... لقد أضعت الرداء من يدي .... ثم خرج من غرفته كالثور الهائج وضرب زوجته على وجهها فصرخت وقالت ماذا حدث»
فقال لها: « وهو مشتعل من الغضب أيها اللعينة لقد أحترق الرداء حين تمنيت تلك الأمنية ففزعت وتساءلت وهى في قمة الرعب كيف ؟ ولماذا ؟
فقال: « وهل تسألينني مؤكد انه من أمنيتك الحمقاء فيالا غبائي ورعونتي... لما أطعتك واتبعت أفكارك المريضة لقد ضاع الرداء أيتها الغبية «
وكانت الزوجة منهارة وتبكى بحرقة ولسانها وكأنه قد شل ولكنها حاولت التبرير فقالت : «لقد كنت أسعي لمصلحتك»
فقال وعيناه ينبعث منهما الشر: « هيا اغربي عن وجهي ثم دفعها دفعات

قوية بيده كادت تسقطها وهو يقول هيا هيا من هنا اذهبي لبيت أمك..
وإن لم أجد حلا وأعيد الرداء فلن تعودي أبدا هيا هيا»
فذهبت الزوجة كما أمرها ودموعها تهطل مثل السيل وكان هذا هو المنزل الثالث الذي يفقد ردائه
وبعد يومان كان هناك منزلا أخر تعيش فيه أسرة بها فتاة تدعى غيداء وكانت هذه الفتاة لها صديقة تمت خطبتها على احد الشباب منذ يومين وفى وقت كان الجو مناسبا تسللت غيداء إلى غرفة أبيها وأخرجت الرداء وابتسمت وقالت: « ها هو رداء الأحلام وارتدته سريعا ثم قالت
أتمنى أن يراها أقبح من القرد وان يقول لها هذه الكلمة في وجهها وفجأة حدث ما حدث مع نعمان و هلال وإبراهيم واشتعل الرداء «
فرمته غيداء وهى مذعورة وحين رأته صار رمادا ظل قلبها يدق بسرعته القصوى من شدة الخوف وتساءلت: « وهى متعجبة يا ويلي ..ماذا حدث له لو علم أبي لقتلني... على أن أغادر هذه الغرفة الأن»
ولذلك لم تلبث أمامه وخرجت مسرعة وذهبت إلى أمها التي كانت في حظيرة الدجاج قبل أن يراها احد ويعرف ما حدث
ومضت الأيام حتى فات شهران كاملان وأبو الفداء مازال متغيب عن البلد ولا أحد يعرف مكان وجوده
وفي أحد الأيام كان جالسا على كرسي خشبي في حديقة جميلة لمنزل صغير يعيش فيه منذ أن ترك بيته وأسرته
وكان المكان رائعا للغاية فالحديقة مليئة بالزهور الملونة والطيور في كل مكان تعزف أجمل الحان يمكن أن يسمعها إنسان وكان أبو الفداء في هذه اللحظة جالس يتفكر فقال لنفسه: « يا ترى ماذا حدث لأهل البلد ويا ترى كم واحد مازال معه ردائه» ثم اخذ يفكر قليلا وقال: »ولما اتساءل وأحير نفسي.. ثم قام ودخل المنزل وجلب الرداء وارتداه وعاد وجلس من

جديد ثم قال: « أتمنى أن أعرف كم عدد من بقى معهم الرداء فوجد ورقة شجر كبيرة تتدلى من الأعلى حتى سقطت أمام عيناه وكان مكتوب عليها « لا احد « «

فتفاجأ وقال: « لا احد !!! لا حول ولا قوة إلا بالله... أبهذه السرعة أضاعه الكل « ثم صمت قليلا وكانت الحسرة تملئ قلبه ثم تمنى من جديد قائلا: « أريد أن اعرف ما هي أحوال الناس... فظهرت على الفور صورة رجل أمام عيناه من أهل البلد يبكى هو وزوجته وأبنائه وكان أحد أبنائه ملقى على الأرض وبدا انه صريع وكان يقول ياليتني ما أضعت الرداء فلو كان معي لما استطاعوا أن يقتلوك يا بني فشعر بالغم والأسى ومسك رأسه وقال أريد أن أرى غيره»

فرأى رجل جاثي على ركبته بين مواشيه النافقة وهو يتحسر ويقول: « لقد ضاع كل شي.. ضاع المال وضاع الرداء وسأعود فقير كما كنت وسنعود لمد الأيدى كما كنا يا حسرتى على الحلم قصير الأمد فأزداد الغم في قلبه وقال أريد أن أرى أحد أخر»

فوجد صورة أم تبكى هي الأخرى وتقول: « لقد راح الرداء ولم نعرف طريق أبو الفداء وراحت معه أبنتي فلو كان موجودا لوجدنا ترياقا للسم ولكنه أختفى وضاعت أبنتي واستمرت في البكاء»

فقال أبو الفداء : «لا هذا لن ينفع « وبدون تفكير تمنى قائلا : «أريد أن تعود الأردية لهم من جديد وبدون شروط» وفجأة وجد ردائه يشتعل فخلعه وألقى به على الأرض وحدث كما حدث مع غيره وتحول الرداء في ثواني إلى رماد فنظر إليه وهو متحسر ثم جلس وأخذ يتأمل لوقت من الزمن ولكنه بعدها أبتسم أبتسامة الرضي ثم قام وجمع الرماد وحفر بيده حفرة صغيرة ووضع فيها الرماد ثم أغلق الحفرة من جديد وذهب وجلب قطعة خشب وكتب عليها

«هنا مثوى الرداء « وكتب بجانب هذه الجملة المدة التي استمر فيها الرداء موجودا في حياته حتى انتهى والتي لم تكن طويلة فهي لم تزيد عن عام واحد وقام بغرسها فوق القبر وهو في قمة الأسى والألم والدموع تكاد تسقط من عينيه فقد كان يشعر وكأنه فقد أحد عزيزا عليه ثم بعدها عاد للجلوس على كرسيه واخرج الورقة والحبر والقلم الذين لا يفارقوه أبدا فقد كان يعشق كتابة خواطره وبدأ يكتب ما يشعر به وكان

«هكذا الإنسان بأهوائه ونفسه التي لا ترضى ولا تحمد الله على نعمه ...تُحول كل شيء جميل إلى شيء كريه ..تحول الراحة والطمأنينة إلى قلق وخوف..تحول النعمة إلى نقمة وشقاء ..تحول الأفراح إلى الأحزان.... وتصير على يده الأحلام التي أضحت واقعا رفاتا لا ينبعث من ذكراه سوى الألم « وبعد أن كتب هذه الكلمات ثنى الورقة ووضعها هي و القلم والحبر في جيبه وقام وبدأ يحمل أغراضه حتى انتهى من تحميلها على حصانه وانطلق عائدا إلى منزله.

openkan.com